الموضوعيّة الفوتوغرافيّة والموضوعيّة الاجتهاديّة: دراسة نقديّة لمقاربة آين راند وعبد الوهاب المسيري

The photographic objectivity and operative objectivity: a critical study of the approach of Ayn rand and Abdel-Wahab- El Massiri

فايز شاهين

Fayez Shaheen

قسم الإعلام، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، قطر

Department of Mass Communication, College of Arts and Sciences, Qatar University, Qatar

الباحث المراسل: fshaheen@qu.edu.qa

تاريخ التسليم (2020/1/27)، تاريخ القبول (2020/5/12)

مُلخّص

تناقش هذه الورقة البحثيّة الجدليّات الفلسفيّة لدى كلّ من الفيلسوفة الأمريكيّة (آين راند) والمفكر المصريّ (عبد الوهاب المسيري) الخاصّة بأحد المناهج الفكريّة الفلسفيّة المدرجة في الإعلام كأحد المبادئ المهنيّة والأخلاقيّة ألا وهي: "الموضوعيّة"، إذ تحاول هذه الورقة إلقاء الضّوء على موضوعيّة (راند) "الفوتوغرافيّة، المعلوماتيّة المتلقية، الببغائيّة" (كما يصفها المسيري) ومقارنتها بموضوعيّة المسيري التي يُطلق عليها اسم "الموضوعيّة الاجتهاديّة أو التفسيرية"، ومعرفة عناصر ومميّزات كلّ من هاتيْن الموضوعيتيْن ورؤية كلّ من المفكريْن لها. كما وتسعى هذه الورقة إلى معرفة دور كلّ من هاتيْن الموضوعيتيْن في إعادة تركيب الواقع الحقيقيّ في وسائل الإعلام ومدى ملاءمتهما لذلك، من خلال إسقاط معايير كلّ منها على بعض من الأمثلة الحيّة في نشرة الأخبار التّلفزيونيّة. وقد توصلّت هذه المقارنة النّقديّة إلى عدم صلاحيّة كلّ من الموضوعيّة الفوتوغرافيّة والموضوعيّة الاجتهادية للعمل الإعلاميّ.

الكلمات المفتاحيّة: الموضوعيّة، الحياديّة، الموضوعيّة الفوتوغرافية، الموضوعيّة الاجتهاديّة، عبد الوهاب المسيري، آين راند.

Abstract

This paper discusses the philosophical dialectics of the American philosopher Ayn Rand and the Egyptian thinker Abdul Wahab al-Massiri

of one of the media philosophical styles being one of the professional and ethical principles namely Rand "Objectivity", "photographic, informatic, passive and mimical", (as described by the Messiri) in contrast to the objectivity of Al Messiri, which is called the "operative or Explanatory objectivity" in view of recognizing the components and advantages of each of these two objectivities and the vision of each thinker. This paper also seeks to discover the role of each objectivity in restructuring everyday life in the media and extent of relevance by applying the criteria of each on certain live examples in the TV news casts. upon applying this critical comparison on some forms of news casts, it was concluded that both photographic objectivity and operative objectivity are invalid for the media work.

Keywords: Objectivity, Neutrality, photographic objectivity, operative objectivity, Abdel-Wahab- El Massiri.

مقدمة

لقد خلقت المنافسة بين المحطات الإخباريّة التّلفزيونيّة في العالم بصورة عامّة والعالم العربيّ بصورة خاصّة حالة من الضغط في العمل الإعلاميّ بحيث صار من الصّعب المحافظة خلالها على جودة المحتوى الإعلاميّ لتغليب عنصريْ السّبق الصحفيّ والعرض الجذّاب في تقديم الأخبار. وحالة الضّغط التّنافسيّ هذه ازدادت حدّة مع دخول المحطّات الإخباريّة حالة من المنافسة مع وسائل الإعلام الجديدة مثل الإنترنت والجوال المحمول، فسرعة تقديم الأخبار التي تُقدّمها وسائل الإعلام الجديد وضعت وسائل الإعلام التقليديّة تحت ظروف إنتاج إعلاميّ لم يسبق لها أن عايشته. كما صار يتسرّب إلى بعض نشرات الأخبار التلفزيونيّة بعضًا من الأخبار المضللة أو المفبركة قادمة من وسائل الإعلام الجديد، ما وضع صدقيّة هذه الوسائل بقطبيها (التّقليديّة والجديدة منها) في معضلة حقيقيّة تستدعي إيجاد حلّ لها قبل أن يفقد الجمهور ثقته بها.

بالرغم من التّطور البنيويّ والمضمونيّ الذي طرأ على وسائل الإعلام العربيّة في السّنوات العشرين الأخيرة، وخاصة تأسيس محطات إخباريّة متخصّصة، مستقلة أو شبه مستقلة، مرتكزة على تقليد المحطّات الغربيّة الملتزمة بالمبادئ المهنيّة والأخلاقيّة، صرنا نلاحظ تقهقرًا في هذا الجانب، فحالة الحرب والصراعات الإقليمية بين الدول العربيّة نفسها من جهة، وبينها وبين شعوبها، أو بينها وبين الجماعات المسلّحة التي تهدّد وجودها من جهة أخرى، دفع بهذه المحطّات – راضيةً أو مرغمةً – إلى إقحام نفسها في الصّراعات السّياسيّة لدولها أو الدّول المستضيفة لها، فأضحى بعضها يحاول التّأثير على الجمهور المستهدف ليناصر القضايا التي تروّج لها الطبقة السّياسيّة بأيّ وسيلة كانت، فأصبحنا نسمع المعلومة الخبريّة في إحدى المحطات ونسمع ضدها

في محطة أخرى، ما أوقع المشاهد في حيرة من أمره، فلم يعد يعرف أي من المعلومتيْن أقرب إلى الواقع.

من هنا جاءت الحاجة إلى وضع دراسة تضع تعريفات محدّدة لمفاهيم مهمّة مثل **الموضوعيّة والحياديّة** مبنية على معايير قياسيّة يمكن الاعتماد عليها في تشخيص موضوعيّة الرسالة الإعلاميّة ونزاهة مرسلها، فمن شأن دراسة كهذه أن تساهم في فتح المجال لدراسات إعلاميّة يمكن من خلالها تحديد المحطّات الإخباريّة ونشرات الأخبار الملتزمة بمعايير الجودة الاحترافيّة والمبادئ المهنيّة والأخلاقيّة الصّحفيّة، ولاسيما الموضوعيّة، مما يُسهّل على أصحاب القرار والجمهور على حدٍّ سواء معرفة أيّ من المحطّات التّلفزيونيّة تستأهل الحوز على ثقتهم بجدارة وأيها لا تستأهل.

مشكلة الدراسة

تعتمد المراجع الإعلاميّة العربيّة على مصادر بحثية إعلاميّة غربية بصورة أساسيّة عند تطرقها لمفهومي الموضوعيّة والحياديّة في الإعلام، من دون أن تحاول مناقشة مسألة الموضوعيّة والحياديّة من جذورها الفكريّة والفلسفيّة وتطرح أفكارًا جديدة في هذا المجال. إنَّ الانقسام الموجود في المدارس الإعلاميّة حول مسألة الموضوعيّة والحياديّة يتمثّل بين مُشكك من إمكانية تطبيق هذيْن المفهوميْن عمليًّا على الموادّ الإعلاميّة ومؤمن بإمكانية ذلك. فالمدرسة الأولى ترى أنّ مسألة نقل "الواقع الحقيقيّ كما هو" إلى الواقع الإعلاميّ مسألة مستحيلة بسبب تأثير العنصر البشريّ في نقل المعلومات، في حين يرى الطرف الآخر إمكانية نقل المعلومات بموضوعيّة وحياديّة عالية ولكن من دون تحديد آلية واضحة وممكنة لتطبيق الموضوعية والحيادية في حقل الإعلام. هذا الخلاف له جذوره الفكريّة والفلسفيّة في مقاربات مفكرين وفلاسفة عرب وأجانب، منهم المفكر المصريّ عبد الوهاب المسيري والفيلسوفة الأمريكيّة (من أصل روسيّ) آين راند، فكلّ من هذين المفكريْن قدما مقاربات واجتهادات فلسفيّة حول مسألة الموضوعيّة والحياديّة ظلت مجهولة لدى كثيرين من الباحثين في مجال الإعلام، ولم توجد سابقًا محاولات بحثيّة جادة تحاول إسقاط هذه المقاربات والاجتهادات على الرسائل الإعلاميّة لمعرفة مدى صلاحيتها التطبيقيّة على المادة الإعلاميّة، وخصوصًا الخبريّة منها. وفي هذه الورقة البحثية سيجري التعرّف على مقاربة وأفكار كلّ من الفيلسوفة آين راند والمتمثلة بالموضوعيّة "الفوتوغرافيّة أو المعلوماتيّة"، ومقاربة المفكر المصريّ عبد الوهاب المسيري المتمثلة بالموضوعيّة "الاجتهادية أو التفسيرية"، ومن ثمّ سيجري إسقاط هاتيْن الفلسفتيْن على المحتوى الإعلاميّ لمعرفة مدى صلاحيّة كلّ من الموضوعيتين للعمل الإعلاميّ. من المفترض أن تُلقي هذه الورقة الضّوء على معضلة فكريّة حقيقيّة تواجه كلّ من يرغب في المساهمة في وضع تعريفات محددة لكلّ من مفهومي الموضوعيّة والحياديّة في الإعلام يمكن تطبيقهما عمليًّا على الرسالة الإعلاميّة.

أسئلة الدّراسة

تحاول هذه الورقة البحثيّة الإجابة على الأسئلة البحثيّة الآتية:

- ما مميزات كلّ من "الموضوعيّة الفوتوغرافيّة" (الراندية) والموضوعيّة الاجتهاديّة" (المسيرية)؟
- ما هي العناصر الرئيسيّة التي تعتمد عليها كلّ من هاتيْن الموضوعيتيْن؟
- ما مدى إمكانية تطبيق "الموضوعيّة الفوتوغرافيّة" و"الموضوعيّة الاجتهاديّة" فعليًّا على المحتوى الإعلاميّ؟
- ما تأثير تطبيق كلّ من الموضوعيتيْن بمميزاتهما الخاصّة على المتلقي؟
- كيف تنظر كلّ من الموضوعيتيْن إلى مسألة الحياديّة في التّعاطي مع المعلومات الخبريّة؟
- ما طبيعية الموادّ الإعلاميّة التي تصلح لتطبيق هاتيْن الموضوعتيْن في عالم الإعلام؟

أهداف الدّراسة

تهدف هذه الورقة البحثيّة إلى عدّة أمور يمكن توضيحها في النّقاط الآتية:

- إلقاء الضّوء على إشكاليّات المفاهيم في حقل أخلاقيّات الإعلام ومبادئه المهنيّة، ومحاولة فهم هذه الإشكاليّات بالعودة إلى الجذور الفلسفيّة التي تناقش مبادئ أخلاقيّة خلافيّة ترتكز عليها الممارسة الإعلاميّة كالموضوعيّة والحياديّة.
- تعريف المجتمع الأكاديميّ العربيّ المتخصّص بالإعلام وكذلك الإعلاميين المتمرّسين ببعض وجهات النّظر الفلسفيّة الخاصّة بأحد أهمّ المبادئ المهنيّة والأخلاقيّة المتعلّقة بعملهم الأكاديميّ والمهنيّ.
- توضيح المعايير المهنيّة الأخلاقيّة النّظريّة بأمثلة حيّة من الإعلام العربيّ تُسهّل على الباحثين فهمها والاقتداء بها.
- التّعرف إلى الإمكانيّات التّطبيقيّة للموضوعيّة الفوتوغرافيّة والاجتهاديّة وتأثيرها على المتلقي والعمل الإعلامي على حدٍ سواء.

أهمية الدّراسة

تكمن أهمية الدّراسة هذه في كونها من أوّل الدّراسات التي تحاول مناقشة بعضًا من المبادئ المهنيّة والأخلاقيّة الخاصّة بالعمل الإعلاميّ اعتمادًا على مصادر فلسفيّة، إذ تناقش هذه الورقة البحثيّة بصورة رئيسيّة الفلسفة "الموضوعيّة الفوتوغرافية / المعلوماتيّة" التي وضعتها الأمريكيّة من أصل روسيّ (آين راند، 1905-1982)، كما وتناقش أطروحات المفكر المصريّ د. عبد الوهاب المسيري حول "الموضوعيّة الاجتهاديّة" بحديها: الأكثر تفسيرًا والأقل تفسيرًا

للواقع في مواجهة ما أسماها بالموضوعيّة "الفوتوغرافيّة" التي تدعو إليها (راند). إنَّ الأهمّيّة الخاصّة لهذه الورقة تكمن في اختبار مدى إمكانيّة تطبيق كلّ من موضوعيّة (راند) "المعلوماتيّة" وموضوعيّة عبد الوهاب المسيري "الاجتهاديّة" على المحتوى الإعلاميّ من خلال ضرب أمثلة حيّة من الإعلام العربيّ[1]، وبالتالي معرفة آثار تطبيق وجهتي النّظر الفلسفيتيْن هاتيْن على الموادّ الإخباريّة، إذ تتمثل أهميّة هذه الدّراسة في إمكاناتها التطبيقيّة في الحقل الإعلاميّ، فهذه الّدراسة تقدم أمثلة عمليّة على كيفيّة تحليل الرّسائل الإعلاميّة في إطار الموضوعيّة والحياديّة، وفي كيفيّة التّعامل مع المعلومات الخبريّة في الرسالة الإعلاميّة عند نقلها من الواقع الحقيقيّ إلى الواقع الإعلاميّ بصورة تضمن تطبيق الموضوعيّة والحياديّة بصورة وثيقة الصّلة بالواقع من دون تفاصيل غير مهمّة ومن دون تفسيرات ذاتيّة تُخرج المعلومات من سياقاتها الواقعيّة.

منهجيّة الدّراسة

استُخدمتْ في هذه الورقة العلميّة أكثر من منهجيّة وهي الاستقرائيّة والتّفسيريّة والوصفيّة. وبالرغم من استخدام أكثر من منهجيّة بحثيّة، إلا أنّها تصبُ جميعًا في اتجاه واحد وهو الإجابة على أسئلة هذه الدّراسة، فهذه الدّراسة تستقرئ التّعريفات الفلسفيّة للموضوعيّة لاستخراج معاييرها الخاصّة منها، وتفسّر مدى صلاحيتها التّطبيقيّة على المحتوى الإعلاميّ، وتصف بعض الأخبار والتقارير والموادّ الإعلاميّة التي تتماشى (أو لا تتماشى) مع كلّ من الموضوعيّة الفوتوغرافيّة والموضوعيّة الاجتهاديّة. لقد اعتمدت هذه الدّراسة بصورة خاصّة على الموروث الفلسفيّ والفكريّ لكلّ من آين راند وعبد الوهاب المسيريّ كمادة للبحث والدراسة والتحليل والنقد. وقد ركزت الدّراسة بصورة خاصّة على كتابات عبد الوهاب المسيريّ المنشورة في الجزء الأول من موسوعته المعروفة باسم "اليهود واليهوديّة والصهيونيّة" بالإضافة إلى كتابه "رحلتي الفكريّة: في البذور والجذور والثمر"، والذي فيهما ضمّن المسيريّ بالتفصيل أسس منهجه التحليليّ التفسيريّ ومقارنته برواد الفلسفة الموضوعيّة المتمثلة بآين راند، بالإضافة إلى مساهمات آين راند الفكريّة والفلسفيّة نفسها في هذا المجال والمنشورة في أكثر من مصدر، كما اعتمدت الدّراسة على عيّنة عمديّة (قصديّة) مختارة من وكالات الأنباء، وخصوصًا وكالة الأناضول للأنباء، بالإضافة إلى مجموعة من الأخبار والتقارير المختارة من قنوات إخباريّة كقناة الجزيرة والعربيّة لتكون مادة مُمثلة للرسائل الإعلاميّة في علاقاتها مع مسألة الموضوعيّة والحياديّة في حقل الإعلام.

(1) لقد ارتأينا استخدام اسم "الموضوعيّة الفوتوغرافيّة" عوضًا عن "الموضوعيّة المعلوماتيّة" جريًا على وصف عبد الوهاب المسيري لها. علمًا بأنَّ (آين راند) تطلق على فلسفتها اسم "الفلسفة الموضوعيّة" فحسب، وترفض حتى تسميتها بالفلسفة (الراندية) نسبة لاسمها. راجع مقابلة آين راند، أول مقابلة متلفزة 1959، يوتيوب. لا يوجد تاريخ نشر. https://www.youtube.com/watch?v=vxbC6g_VcBo.

الدراسات السابقة

من الدّراسات القليلة التي تطرقت إلى أفكار ومقاربات عبد الوهاب المسيري دراسة هشام المكيّ وهي بعنوان "من العقل السلبيّ إلى العقل المبدع: قراءة في مساهمات عبد الوهاب المسيريّ المنهجيّة في البحث الاجتماعيّ" (المكي، 2012)، وقد تطرّق المكيّ لأفكار عبد الوهاب المسيريّ المنشورة في كتاباته وخصوصًا موسوعته المشهورة "اليهود واليهوديّة والصهيونيّة" بالإضافة إلى كتابه "رحلتي الفكريّة"، وقد كال المكيّ المديح لأفكار المسيريّ وخصوصًا فيما يتعلّق في ابتكاره للنموذج التحليليّ التفسيريّ (الذي سنتطرق إليه في معرض هذه الدّراسة بالتفصيل)، معتبرًا أنّ الموضوعيّة الاجتهاديّة أو التفسيريّة التي وضع أسسها المسيريّ هي المنهاج الأنجح في عملية معالجة المعلومات كونها لا تكتفي بجمع المعلومات المجرّدة، بل تعمد إلى الانتقاء منها ومن ثمّ تجريدها من سياقاتها المكانيّة والزمنيّة وبعد ذلك تستخرج منها نماذج عامة يمكن تعميمها، وهو منهاج يخالف الموضوعيّة الفوتوغرافيّة/المعلوماتيّة التي تكتفي بجمع المعلومات المجرّدة من دون الاجتهاد في تفسيرها أو تعميمها. وقد بيّن المكيّ أنّ هذه الطريقة في جمع المعلومات وتفسيرها هي مرحلة من مراحل الانتقال من "العقل السلبيّ" إلى "العقل التوليديّ"، أي أنَّ الموضوعية الفوتوغرافية تعمل على تغييب دور العقل بصورة سلبيّة بإصرارها على عدم التلاعب بالمعلومات المجرّدة، في حين تعمل الموضوعيّة الاجتهاديّة/التفسيريّة بصورة إيجابيّة على دعم خصائص العقل المتمثلة بالانتقاء والرّبط والتفسير والتعميم.

بالرغم من أهميّة هذه الدراسة إلا أنّها لا تُضيف شيئًا عدا تقديمها عرضًا تفصيليًّا وإيضاحيًّا لأفكار عبد الوهاب المسيريّ وخلافاته مع أصحاب الموضوعيّة الفوتوغرافيّة من وجهة نظر المسيريّ نفسه، كما أنّها تربط أفكار المسيريّ بمساهمته في تطوير آليات البحث في العلوم الإنسانيّة من خلال منهجه التحليليّ الذي أطلق عليه اسم "النموذج". علاوة على أنَّ هذه الدّراسة لم تربط مسألة الموضوعيّة الفوتوغرافيّة والموضوعيّة الاجتهاديّة بالحقل الإعلاميّ بصورة خاصّة، ولم تحاول إسقاط هذه الأفكار عليه لمعرفة مدى صلاحيّة كلّ منها للرسائل الإعلاميّة، بعكس هذه الدراسة التي بين أيدينا.

ومن الدّراسات الأخرى التي تطرقت إلى أفكار المسيريّ دراسة وفاء برتيمة وهي بعنوان "الرؤية النقديّة للمسيريّ في إشكاليّة التّحيز للحضارة الغربيّة، الحداثة نموذجًا" (برتيمة، 2009)، وفيها ناقشت وفاء مقاربات المسيريّ الفلسفيّة المختلفة ومنها مسألة الموضوعيّة الاجتهاديّة من وجهة نظر فلسفيّة محضة ولم تتطرق إلى معضلة الموضوعيّة في الإعلام البتة. أمّا مقاربة آين راند الخاصّة بالموضوعيّة فظلّت مقتصرة على المسألة الفلسفيّة ولم تتعداها إلى مسألة المعالجة الموضوعيّة في وسائل الإعلام.

ومن هنا جاءت أهميّة هذه الدّراسة التي تربط لأول مرّة بين المقاربات الفلسفيّة لكلّ من آين راند والمسيري ومسألة الموضوعيّة والحياديّة في الحقل الإعلاميّ بطريقة عمليّة.

الإطار النظري

الموضوعيّة وإشكاليّة المفهوم

أصبح مصطلح الموضوعيّة اليوم من المصطلحات العاطفيّة المُستهلكة، فالأحزاب والجماعات السّياسيّة والمنظمات وأصحاب المصالح وحتّى الشّركات التي تشعر بتجريح وسائل الإعلام لها أو بعدم معاملتها معاملة حسنة، تسارع باتهام وسائل الإعلام بعدم الموضوعيّة. أمّا بعض الصحافيين فيشيرون دائمًا إلى عدم إمكانيّة عرض "الواقع كما هو" لقصر وسائل معرفتهم وتعابيرهم، كما يقولون (Häusermann, & Käppeli, 1986. p169). هذا الصّراع عمل على تآكل مصطلح الموضوعيّة مع الزمن؛ لهذا لا يُمكن التّغاضي عن هذا المبدأ، بل يجب تحديد كنهه ومعناه الحقيقيّ في العمل الإعلاميّ اليوميّ.

في الورقات التالية سأقدّم نبذة تاريخيّة عن بدايات الحديث عن "الموضوعيّة" في الإعلام بداية القرن العشرين، ثم سأتطرّق إلى مفهوم "الموضوعيّة" من وجهة نظر فلسفيّة، مع التّركيز على مساهمات كلّ من (آين راند) والمفكّر المصريّ (عبد الوهاب المسيري) في هذا الجانب، ثم إسقاط معايير الموضوعيّة "الفوتوغرافيّة" (المعلوماتيّة) و"الاجتهاديّة" على أمثلة حيّة من الأخبار والتّقارير الإخباريّة لاختبار مدى صلاحيتها للمحتوى الإعلاميّ، ومن ثمّ الانتقال إلى توضيح الحياديّة في كلا الفلسفتيْن.

نشأة مفهوم "الموضوعيّة" في الإعلام

تتحدّث بعض المصادر الأمريكيّة عن ظروف نشأة "الموضوعيّة" في وسائل الإعلام، فبعضها يُرجعه إلى أسباب مهنيّة وبعضها الآخر إلى أسباب سياسيّة وأخرى اقتصاديّة؛ فصاحب كتاب "اكتشاف الأخبار" (ميشائل شادسين ,Michael Schudson) يُرجع سبب ظهور مفهوم "الموضوعيّة" في الإعلام في الولايات المتّحدة في عشرينيّات القرن الماضي إلى الظّروف التي عايشتها المجتمعات الغربيّة أثناء الحرب العالميّة الأولى، فبسبب الدّعاية الإعلاميّة زمن الحرب وتشويه الحقائق، فَقَدَ الجمهور والصّحفيون - على حدٍ سواء - الثّقة بالمعلومات الخبريّة التي تتناقلها وسائل الإعلام، فبرزت الدّعوة إلى الالتزام بالموضوعيّة كأحد المعايير الأخلاقيّة والمهنيّة التي تحفظ صحة الأخبار المنشورة عند تغطية الوقائع الإخباريّة، علمًا بأنَّ الأخبار قبل الحرب العالميّة الأولى لم تكن تميّز بين الحقائق ووجهات النّظر وكان عدم التّمييز هذا مقبولًا في المجتمع الأمريكيّ (Schudson, 1978, pp 5-7).

في حين يرى آخرون (أمثال الباحث إدوين بيكر) أنَّ سبب ظهور الموضوعيّة في الإعلام بدايات القرن العشرين هو ارتباطها بالأرباح التي يجنيها النّاشرون من الإعلانات التّجارية في صحفهم، فقد شجّع أصحاب الصّحف عامليهم على الالتزام بالموضوعيّة لعدم رغبتهم في الإساءة لأيّ من عملاء الإعلان، ولهذا السّبب حضّوا محرري أخبار صحفهم ومراسليهم الميدانيين على أخذ آراء جميع الأطراف في أي قضية إعلاميّة بالحسبان، فيضمنوا بذلك رضا المعلنين، وبالتالي يضمنون استمرارهم في الإعلان في صحفهم (Baker, 1994, p 29).

وقدّم آخرون (أمثال ريتشارد كابلان) تفسيرًا سياسيًا لظهور الموضوعيّة في الولايات المتّحدة، إذ يقول (ريتشارد كابلان Richard, L. Kaplan,) إنَّ الأحزاب السّياسيّة بعد الانتخابات الأمريكيّة عام 1898 أرادت فرض سيطرتها على ولاءات النّاخبين ومؤسسات الحكومة من خلال تشجيع الصّحافة على تقديم أخبار موضوعيّة غير حزبية ونزيهة (Kaplan, 2002, p57)، فتضمن الأحزاب السّياسيّة بذلك سماح جميع الصّحف بنشر مواقف جميع الأحزاب السّياسيّة بموضوعيّة، من دون أن تُبرز رأي طرفٍ على طرفٍ آخر، وبالتالي تحوز جميع الأحزاب على فرص متساوية للّتعبير عن مواقفها.

من هنا يُمكن أن نفهم أنَّ سبب اللجوء إلى الموضوعيّة في نقل الأخبار يعود إلى دواع مهنيّة وسياسيّة واقتصاديّة بالدّرجة الأولى، فالموضوعيّة تضمن إيصال المعلومات الصّحيحةً للجمهور وبالتالي تكسب ثقته، وتضمن عدم التّحيز لفئة سياسيّة على أخرى، كما تضمن الوصول إلى أكبر شريحة من المجتمع دون تمييز فئة على أخرى، وهذا أمر يعود بالفائدة الماديّة على وسائل الإعلام نفسها، كما يمكننا أن نفهم من هذا العرض التاريخيّ البسيط لأسباب ظهور الموضوعيّة في العمل الإعلاميّ أنَّ الموضوعيّة كانت تُفهم على أنّها نقل الأخبار الصّحيحة والالتزام بالعدل (التّوازن) في التّعامل مع الأطراف المتنازعة في قضية إعلاميّة ما.

الموضوعيّة في الفلسفة (الموضوعيّة الفوتوغرافيّة، الموضوعيّة الاجتهاديّة)

لقد كان لمفهوم "الموضوعيّة" العام نصيب من النّقاشات الفلسفيّة، فنراه في "الفلسفة الموضوعيّة" التي وضعتها الأمريكيّة من أصل روسيّ "آين راند" والتي عبّرت عنها في مقابلة تلفزيونيّة بقولها: "في البداية فلسفتي مبنية على أنّ الكون موجود بموضوعيّة مطلقة وأنَّ عقل الإنسان، المنطق، هي وسيلته الوحيدة لإدراكه، وأنَّ الإنسان بحاجة إلى أخلاق عقلانيّة، ولي السّبق في إنشاء قانون أخلاقيّ جديد، والذي حتّى الآن ساد الظّن باستحالة وجوده، وهو أنَّ الأخلاق ليست مبنية على الإيمان (...) وليس على الأهواء الاعتباطيّة وليس على العواطف وليس على الأوامر الاعتباطيّة، سواء روحانيّة أو مجتمعيّة، ولكن على العقلانيّة، أخلاق يمكن إثباتها بواسطة المنطق، والتي يمكن إثبات صحتها وضروريتها" (راند، يوتيوب، 1959).

في الحقيقة المصادر التي تتحدّث عن فلسفة (راند) حول الموضوعيّة قليلة، هذا ما تؤكده موسوعة ستانفورد للفلسفة في ترجمتها لفلسفة راند (موسوعة ستانفورد، 2018، ص5). إلا أنَّ ما تقدّمه الموسوعة عن فلسفة (راند) يُفهم منه أنّه من خلال الموضوعيّة يمكن الوصول إلى "أخلاق عقلانيّة" يمكن إثباتها منطقيًّا تُساعد على معرفة الواقع.

إلا أنَّ أكثر مفكر عربيّ اهتم بمسألة الموضوعيّة (سواء كانت الموضوعيّة (الراندية) التي وصفها بـ "الفوتوغرافيّة" والموضوعيّة التي اقترحها هو وهي الاجتهاديّة) كان المفكّر المصريّ عبد الوهاب المسيري، الذي تحدّث عنها في كتابه "رحلتي الفكريّة" وكذلك في الجزء الأول من موسوعته المشهورة "اليهود واليهوديّة والصهيونيّة" تحت عنوان (إشكاليّة الموضوعيّة والذاتيّة)، ويُعرّف المسيري الموضوعيّة بقوله: "الموضوعيّة هي إدراك الأشياء على ما هي عليه دون أن تشوهها نظرة ضيقة أو أهواء أو ميول أو مصالح أو تحيزات أو حب أو كره؛ ولذا،

فإن وُصف شخص بأنَّ تفكيره موضوعيّ، فإنَّ هذا يعني أنَّه اعتاد أن يجعل أحكامه تستند إلى النّظر إلى الحقائق على أساس العقل وبعد معرفة كلّ الملابسات والظروف والمكونات" (المسيري، 2005، ص 102).

ويضيف المسيري: "والموضوعيّة هي الإيمان بأنَّ لموضوعات المعرفة وجودًا ماديًّا خارجيًّا في الواقع، وبأنَّ الحقائق يجب أن تظلّ مستقلة عن قائليها ومدركيها، وبأنَّ ثمة حقائق عامّة يُمكن التّأكد من صدقها أو كذبها، وأنّ الذّهن يستطيع أن يصلَ إلى إدراك الحقيقة الواقعيّة القائمة بذاتها "مستقلة عن النّفس المُدركة" إدراكًا كاملًا، وأنَّ بوسعه أن يُحيط بها بشكلٍ شاملٍ، هذا إنْ واجه الواقع بدون فرضيات فلسفيّة أو أهواء مسبقة، فهو بهذه الطّريقة يستطيع أن يصل إلى تصوّر موضوعيّ دقيق للواقع يكاد يكون فوتوغرافيًّا" (المسيري، 2005، ص 102). وهو بهذا التّعريف يشير المسيري إلى تعريف الموضوعيّة (الرانديّة) التي أطلق عليها اسم "الموضوعيّة الفوتوغرافيّة" (أو المعلوماتيّة أو الببغائيّة).

وفي الجهة المضادة تقف "الذاتيّة"، إذ يقول المسيري: "وكلمة "الذاتيّة" تعني الفرديّ، أي ما يخص شخصًا واحدًا، فإن وُصف شخص بأنَّ "تفكيره ذاتيّ" فهذا يعني أنّه اعتاد أنْ يجعلَ أحكامه مبنيّة على شعوره وذوقه، ويُطلق لفظ "ذاتيّ" على ما كان مصدره الفكر لا الواقع، ومنه الأحكام الذاتيّة "مقابل الأحكام الموضوعيّة" وهي الأحكام التي تعبّر عن وجهة نظر صاحبها وشعوره وذوقه، فمعرفتنا بالواقع محدودة تمامًا عن طريق خبرتنا الذاتيّة الخاصّة وتجربتنا الفريدة ووعينا وإدراكنا" (المسيري، 2005، ص 102-105).

ونفهم من هذا أنَّ الموضوعيّة تؤمن بقدرة الإنسان على تخطي "ذاتيته" وأهوائه وميوله وتحزباته، وأنّه يمكنه فهم الواقع بأكبر صورة ممكنة "يكاد يكون فوتوغرافيًّا" لو اتبع أحكامًا موضوعيّة، ومن هنا جاء وصفه لها بـ "الفوتوغرافيّة".

وفي كتابه "رحلتي الفكريّة" وفي معرض حديثه عن الفرق بين "الموضوعيّة الفوتوغرافيّة" (التي يصفها أيضًا بالمتلقية والتّوثيقيّة والمعلوماتيّة) و"الموضوعيّة الاجتهاديّة" خاصته، يقول المسيري: "الموضوعيّة الفوتوغرافيّة هي نموذج تحليليّ يذهب إلى أنَّ المعرفة عمليّة تراكميّة تتكوّن من التقاط أكبر قدر ممكن من تفاصيل الواقع (الماديّ) كما هو تقريبًا، بصورة فوتوغرافيّة (أو شبه فوتوغرافيّة) وإدراجها في البحث أو الدّراسة (دون ربط بين المعلومات ودون محاولة تجريد أنماط منها)" (المسيري، 2000، ص242).

ونفهم هنا أنَّ دور الموضوعيّة الفوتوغرافيّة يقتصر على تحديد المعلومات (تفاصيل الواقع) المجرّدة من دون الرّبط بينها (مع العلم بوجود روابط ذاتيّة بينها: روبط مكانيّة، زمانيّة، موضوعاتيّة...)، أي من دون تقديم تفسير لها، وترك مهمّة التّفسير لمن يتلقى هذه المعلومات، وأنَّ المعرفة يمكن أن يتلقّاها الإنسان من خلال تراكم المعلومات الصّحيحة عن الواقع ولا حاجة لتفسيرات لها، وهذا الفهم تعززه الجملة المقتبسة الآتية:

"والموضوعيّة تستند إلى أنَّ ثمة علاقات قائمة بين أجزاء الأشياء المدركة، وأنَّ النّاس جميعهم يمكن أن يُدركوا هذه العلاقات بنفس الطّريقة لو تهيّأ لهم الموقف الصّحيح لإدراكها" (المسيري، 2000، ص242). ويُضيف المسيري: "فالعقل حسب هذا النّموذج شيء سلبيّ بسيط مثل الكاميرا يحاول أن يُحيط بالواقع كلّه وأن ينقل تفاصيل الواقع كلّها وبحذافيرها، فهو غير قادر على الحذف والاختيار والتّضخيم والتّهميش والتّحريف والتشويه، مرجعيته النّهائيّة هي الواقع كما هو" (المسيري، 2000، ص242).

ونلاحظ هنا أنَّ المسيري يأخذ على الموضوعيّة الفوتوغرافيّة اهتمامها بالتّفاصيل وتهميشها لدور العقل الذي من طبيعته أنّه يحذف بعض المعلومات ويختار بعضها الآخر ويضخّم ويهمّش ويحرّف ويشوّه. إلا أنَّ المسيري لا يوضّح لنا لماذا يقوم العقل بهذه المهمّات عند تعاطيه مع المعلومات التّفصيليّة والواقعيّة، وإن كانت هذه المهمّات كلّها مبنية على أسس عقلانيّة أم أنَّ ذاتيته هي التي تتحكّم به عند قيامه بهذه الأمور؟ إذ يمكن فهم أنَّ العقل يحذف ويختار بعض المعلومات بناء على أساس عقلانيّ، وهو حذفه لتفاصيل غير مهمّة واختياره لتفاصيل مهمّة لا يمكنه إدراك الواقع بأقرب صورة ممكنة إلا بها، ولكن ما هي دوافع العقل عند تضخيمه للمعلومات وتهميشه أو تحريفه وتشويهه لها؟

ويضيف المسيري: "والمعلوماتيّة المرتبطة تمام الارتباط بهذه الرؤية، تذهب إلى أنَّ المعلومة مهمّة في حدّ ذاتها، لا بسبب علاقتها بالموضوع الكليّ أو بنمط متكرّر" (المسيري، 2000، ص242)، ويقول: "والافتراض الكامل أنّه كلّما زادت المعلومات زادت درجة الاقتراب من الواقع (كما هو) إلى أن يحشد الباحث كلّ المعلومات أو المراجع (أو معظمها)، ويعطينا صورة طبق الأصل عن الواقع" (المسيري، 2000، ص242).

هنا يتضح اهتمام الموضوعيّة الفوتوغرافيّة بالمعلومات المجرّدة أكثر من اهتمامها بالرّبط بينها وتفسيرها ومن ملاحظة أنماطٍ متكرّرة يمكن استنباطها منها، ولكن لا يوضّح المسيري لماذا لا تلجأ الموضوعيّة إلى الرّبط بين المعلومات (تفسيرها)؟ ولماذا لا ترى الموضوعيّة أنَّ هذا هو دورها؟ وإن لم يكن دورها فعلى من يقع دور الرّبط بينها وتفسيرها؟

ويقول: "إنَّ جوّهر البحث والإبداع - في تصوّري وتصوّر الكثير غيري - هو أن يكتشف الإنسان علاقة بين شيئيْن أو ظاهرتيْن لم يكتشفها أحد من قبل ويربط بينهما، ثمّ يجرّد بعد عملية الرّبط هذه نمطًا عامًا يتجاوز الظاهرتيْن له مقدرة تفسيريّة، ثمّ يرى الواقع من جديد في ضوء هذه العلاقة الجديدة" (المسيري، 2005، ص260).

وفي هذه المسألة، مسألة اكتشاف العلاقة بين شيئيْن أو ظاهرتيْن ثم تجريد نمطٍ عامٍ يتجاوز الظاهرتيْن ليعطي تصورًا جديدًا للواقع ضمن هذه العلاقة الترابطيّة، لا يوضّح المسيري القواعد والضّوابط التي تتحكّم في عمليّة الرّبط هذه، فهل هي روابط عقلانيّة يمكن لأي إنسان استخدامها ليصل إلى علاقة ربط (تفسير) سليمة؟ أمّ أنّها مبنية على اعتبارات ذاتيّة خاصّة بكلّ شخص؟ فالسؤال المُلح هنا: كيف لي أن أعرف أنَّ تفسيري (أو تفسير غيري) لظاهرتيْن هو التّفسير السّليم؟ وكيف أختبر صحة وسلامة تفسيراتي وصحة وسلامة الأنماط العامّة التي توصلت إليها؟

وفي تمييزه بين الذاتيّة والموضوعيّة يقول المسيري: و"الذاتي" في الميتافيزيقيا هو ردّ كلّ وجود إلى الذات، والاعتداد بالفكر وحده، أمّا "الموضوعيّ" فهو ردّ كلّ الوجود إلى الموضوع، المبدأ الواحد المتجاوز للذات" (المسيري، 2005، ص103).

ولكن هل صحيح أنّ الأمر يتعلّق بالذاتيّة والموضوعيّة وحدهما؟ أم أنّ هناك أمرًا ثالثًا؟ عند الرجوع إلى فلسفة الموضوعيّة لدى (آين راند) اتضح أنّ المسيري أخفى عنصرًا ثالثًا وهو "الجوهريّة"، وأنّ الأمر لا يتعلّق بالذاتيّة والموضوعيّة كحديْن وطرفيْن متناقضيْن، بل الأمر يتعلّق بالجوهريّة والذاتيّة بصورة أساسيّة وأنّ الموضوعيّة ما هي إلا العلاقة والوسيلة التي تربط بين الإثنين معًا.

ففي موسوعة ستانفورد وتحت عنوان "الميتافيزيقيا والإبستيمولوجيا"[(1)] يجري الكشف عن المكونات الرئيسية في الرؤية الراندية في هذا المجال وهي ما أُطلق عليه اسم "الموضوعانيّة"، وهي ثلاثيّة تجمع بين ثلاثة صفات: الجوهريّة، والذاتيّة، والموضوعيّة، "فالظاهرة (الجوهريّة) هي التي تعتمد طبيعتها اعتمادًا كاملًا على عوامل خارجيّة بالنسبة للذهن، والظاهرة الذاتيّة هي التي تعتمد طبيعتها اعتمادًا كاملًا على الذهن، والظاهرة الموضوعيّة تعرّف، من بين تعاريفها المتعدّدة، بأنّها التي تعتمد على العلاقة بين طبيعة كيان حي (بما في ذلك: طبيعة ذهنه) وبين بيئته، أو بأنّها التي تعتمد على العلاقة بين ذهن يعمل بشكل مناسب (عقلاني) والواقع الذي يعمل خارج الذهن" (موسوعة ستانفورد، 2018، ص8).

شكل (1): أنموذج يوضح العلاقة بين الواقع والذاتيّة والموضوعيّة وفقًا لآين راند.

المصدر: الكاتب.

ووفق هذا التّوضيح يبدو لنا أنَّ الموضوعيّة هي الظاهرة العقلانيّة المؤسسة للربط بين ما هو "براني" (وفقًا للتعبير الذي يستخدمه المسيري في موسوعته) وهو (الجوهريّة) من جهة، و"الجواني" وهي الذاتيّة من جهة أخرى. وتعتقد (راند) بأنَّ هناك ميلًا واسعًا لتجاهل المكون الثالث (الموضوعيّة)، أو لدمجه في المكون الثاني، مما يحدث فجوة هائلة بين المكونين الجوهريّ والذاتيّ؛ أي أنَّ هناك خلط بين الظواهر الثلاث (موسوعة ستانفورد، 2018، ص8).

(1) الميتافيزيقيا: فرع من الفلسفة يدرس جوهر الأشياء، والإبستيمولوجيا: هو الفرع من الفلسفة الذي يدرس علم المعرفة، أو علم العلم.

وما يعزز أنَّ الموضوعيّة ما هي إلا الظاهرة الواصلة بين الجوهريّة (الشّيء محل البحث) والذاتيّة (الذهن) هو ما يقوله المسيري نفسه عند شرحه لدور كلّ من "الذاتيّة" و"الموضوعيّة":

"أما في نظريّة المعرفة، فإنَّ "الذاتيّة" تعني أنَّ التفرقة بين الحقيقة والوهم لا تقوم على أساس موضوعيّ، فهي مجرّد اعتبارات ذاتيّة، وليس ثمّة حقيقة مطلقة، أمّا "الموضوعيّة" فترى إمكانية التّفرقة، وفي عالم الأخلاق، تذهب "الذاتيّة" إلى أنَّ مقياس الخير والشر إنّما يقوم على اعتبارات شخصيّة، إذ لا توجد معياريّة متجاوزة، أمّا الموضوعيّة فترى إمكانيّة التّوصل إلى معياريّة، وفي عالم الجمال تذهب الذاتيّة إلى أنّ الأحكام الجماليّة مسألة ذوق، أمّا الموضوعيّة فتحاول أن تصل إلى قواعد عامّة يمكن عن طريقها التمييز بين الجميل والقبيح" (المسيري، 2005، ص 103).

فمن هنا نفهم أنَّ الذاتيّة لها أسلوبها الخاصّ في معرفة الجوهريّة (الشّيء البراني/ الواقع) والحكم عليه، وأنَّ للموضوعيّة أسلوبها الخاصّ أيضًا، وأنّه عندما تتجاوز الذاتيّة (الذهن) الموضوعيّة للحكم على الجوهريّة (البراني/ الواقع) فإنّها لا تصل إلى معرفة جوهر الشّيء (الحقيقة والوهم، الخير والشر، الجميل والقبيح)، بل إلى "تفسير" ذاتيّ لهذا الشّيء: "مجرّد اعتبارات ذاتيّة"، "اعتبارات شخصيّة"، "مسألة ذوق" (كما يقول المسيري)، أمّا عندما يستعين الذهن "بالموضوعيّة" كأسلوب وطريقة لفهم "الجوهريّة" (الشّيء/ الواقع) عندها يمكن التّوصل إلى "معياريّة" محدّدة وإلى "قواعد عامّة" يمكن من خلالها تحديد كنه الشّيء ووقعه، ولكن يبدو أنَّ مسألة الذاتيّة والموضوعيّة ومسألة المعياريّة والقواعد العامّة لم ترقْ للمسيري.

إذ يُضيف المسيري في كتابه رحلتي الفكريّة: "ولكلّ هذا، وجدتُ أنّه من الأجدى استبعاد مصطلحيّ "موضوعيّ" و "ذاتيّ" .... وأحللت محلهما مصطلحي "أكثر تفسيريّة" و "أقلّ تفسيريّة"، فهما أكثر دقة في وصفهما لعمليّة الإدراك والتّفسير، فإن كانت الأطروحة التي يأتي بها الدّارس تفسّر عددًا من المعطيات يفوق العدد الذي تفسره الأطروحات السّائدة، فهي " أكثر تفسيريّة" وإن كان عددها أقلّ فهي "أقلّ تفسيريّة". ويضيف:" ولذا أسمي هذا النّوع من التفكير "الموضوعيّة الاجتهاديّة" (في مقابل الموضوعيّة المتلقيّة أو الفوتوغرافيّة)، وهي ألا ينقل الإنسان الواقع بحذافيره وكأنّه ببغاء وآلة تصوير بلهاء، إنما يُعمل عقله وخياله فيربط بين التّفاصيل ويجرّد منها أنماطًا متكرّرة تساعده على فهم الواقع بطريقة أعمق وأشمل" (المسيري، 2000، ص261).

نفهم من كلام المسيري هنا أنّه يرى ضرورة الابتعاد عن "الموضوعيّة الفوتوغرافيّة" التي تقتصر على توفير المعلومات المجرّدة ذات العلاقات المشتركة من دون أن تقدّم تفسيرات لها، واستبدالها بـ "موضوعيّة اجتهاديّة" تسمح بتفسير الظواهر واستخراج أنماط معرفيّة عامّة منها، ولكن ما السبب الذي يدعو إلى إصرار المسيري على تجنّب الموضوعيّة الفوتوغرافيّة -كما يُسميها أحيانا بالموضوعيّة الببغائيّة- (صحيفة اليوم السعودية، 2005) والتي يمكن عند اتباعها من قبل باحثين مختلفين إلى التّوصل إلى نتائج متشابهة، إلى موضوعيّة اجتهاديّة يمكن أن تفتح المجال لتفسيرات كثيرة متعدّدة ومتشعّبة وربما متضاربة؟

في ندوة نظمتها دار الكُتب والوثائق المصريّة حذّر المسيري من خطورة الاعتماد على الموضوعيّة في المناهج التّعليميّة وإغفال أهمّيّة تفعيل عقول المتعلّمين، لأنّ الموضوعيّة "تقتل الإبداع لاعتمادها على مبدأ فصل الذات عن الموضوع وتحوّل العقل الإنسانيّ إلى مجرّد متلقٍ" (صحيفة اليوم السعودية، 2005). ويبّن المسيري السّبب الرئيس الذي دعاه إلى محاربة الموضوعيّة بأنّه "يصعب تصوّر بأنَّ الباحث العربيّ عندما يرصد الصهيونيّة يكون مجردًا من عواطفه، لأنه واقعيًا سيكون عكس ذلك، وهذه ظاهرة صحية" (صحيفة اليوم السعودية، 2005). وتنقل الصحيفة عن المسيري قوله في هذا الخصوص: "وهكذا يكون تعامل العربيّ مع الصهيونيّة، إذ لا بُدَّ أن يكون متحيزًا لقوميّته ولا يستند على الموضوعيّة عند دراسة الموسوعات التي تتحدّث عن الصهيونيّة، خصوصًا أنَّ هذه المراجع الغربيّة تتناول موضوع الصهيونيّة وفقًا للرؤية الذاتيّة والمفهوم الغربيّ" (صحيفة اليوم السعودية، 2005).

إنّنا نفهم من كلام المسيري هنا أنَّ السّبب الرئيس لمحاربته الموضوعيّة كمنهاج تحليليّ وتحذيره منه هو تحيّزه المُعلن لقوميّته العربيّة في وجه الموسوعات الغربيّة التي تتناول الصهيونيّة وَفقًا للرؤية الذاتيّة والمفهوم الغربيّ. والسّؤال المطروح هنا: هل يجوز أن يكون التحيّز جزءًا من منهجيّة بحث علميّة؟ وهل تحيّز بعض الباحثين في قضية ما يقتضي مواجهته بتحيّز مضاد؟ وهل يمكن للتحيّز أن يُوصل إلى نتائج بحثيّة سليمة؟

يقول المسيري في موسوعته: "ونحن نرى أنَّ لكلّ كاتب تحيّزاته الخفيّة الكامنة أو الواضحة الظّاهرة، وأنَّ السّبيل الوحيد للوصول إلى نوع من الموضوعيّة هو أن يحاول كلّ كاتب أن يُوضّح هذه التحيّزات، فالتحيّز حتميّ ولكنّه ليس نهائيًّا. والتحيّزات الحقيقيّة كامنة في المسلّمات الكليّة والنّهائيّة للنموذج التّفسيريّ الذي يستخدمه الكاتب. وقد حاولت أن أوضح هذه التحيّزات حتّى يدركها القارئ ويختبرها ويقبلها أو يرفضها كليًّا أو جزئيًّا" (المسيري، 2005، ص133).

فهذه العبارة توضّح أنَّ الموضوعيّة الاجتهاديّة لا تخلو من تحيّز، وأنّ ما يتعيّن على الباحث فعله هو أن يوضّح تحيّزاته فقط، حتّى يحافظ على نوع من "موضوعيته"، وكأنَّ توضيح سبب التحيّز كافٍ ليبقى الباحث موضوعيًّا نوعا ما!!

ويقدّم المسيري أداته التّحليليّة الخاصّة التي يُطلق عليها اسم "النّماذج التّحليليّة" (المسيري، 2000، ص273)، ويُعرّف المسيري النّموذج بقوله: "النّموذج [...] هو بُنية تصوّريّة أو خريطة معرفيّة يجرّدها عقل الإنسان (بشكل واع أو غير واع) من كمّ هائل من العلاقات والتّفاصيل والحقائق (الموضوعيّة)، فهو يستبعد بعضها بحسبانها غير دالة (من وجهة نظره) ويستبقي البعض الآخر، ثمَّ يربط بينها وينسّقها تنسيقًا خاصًا، ويجرّد منها نمطًا عامًا، وعمليّة الرّبط حتميّة قبل التّجريد، وكلاهما يحرّر المعلومة بعض الشّيء من فضائها الخاصّ (زمانها ومكانها المباشريْن) بحيث تُصبح ذات مقدرة تفسيريّة عالية. (أمّا السّمة الأساسيّة في الموضوعيّة المتلقيّة والمعلوماتيّة، فهي الفصل بين المعلومات، بحيث تظلّ كلّ معلومة ملتصقة بفضائها ومناسبتها،

لا يمكن إدراكها داخل نمط عام، ومن ثمَّ يُمكن أن يُفرض عليها أيّ معنى وأي اتجاه). " (المسيري، 2000، 275).

من الواضح هنا أنَّ النّموذج التّحليليّ الذي يعتمد عليه المسيري في تحليله للواقع يعتمد بصورة أساسيّة على "التّفاصيل والحقائق (الموضوعيّة)" كما يقول، (أي أنّ الموضوعيّة المعلوماتيّة لا مفر منها) لكنّه لا يمنحها وزنا كبيرًا، فهو يستبعد بعضها ويستبقي بعضها الآخر وَفقًا لوجهة نظره الشّخصيّة "بحسبانها غير دالة"، ثمّ يربط بينها وينسّقها كيفما يشاء ثمّ يُجرّد منها نمطًا عامًا، وحتّى يصل لهذا النّمط العام عليه تجريد المعلومة من فضائها الخاصّ من زمان ومكان ومناسبة حتّى يتمكّن من تفسيرها التّفسير الذي يريد.

ومن هذا التّحليل تنبع عدة أسئلة لم يوضّحها هذا النّموذج التّحليليّ، يمكن صياغتها كالآتي:

- ما هي المعلومة الموضوعيّة وبأي منهجيّة يمكن الوصول إليها؟
- كيف يمكن التّمييز بين المعلومة والرأي؟
- كيف يمكن اختبار صحة المعلومة؟
- على أي أساس يجري اختيار معلومة وتُستبعد أخرى؟
- ما هي شروط الرّبط الصّحيحة بين المعلومات للوصول لتفسير سليم؟
- كيف يمكن اختبار صحة تفسير ناتج عن ربط المعلومات؟
- كيف يمكن اختبار صحة النّمط العام (الظّاهرة العامّة) المنبثق/ة من مجموعة من التّفسيرات؟

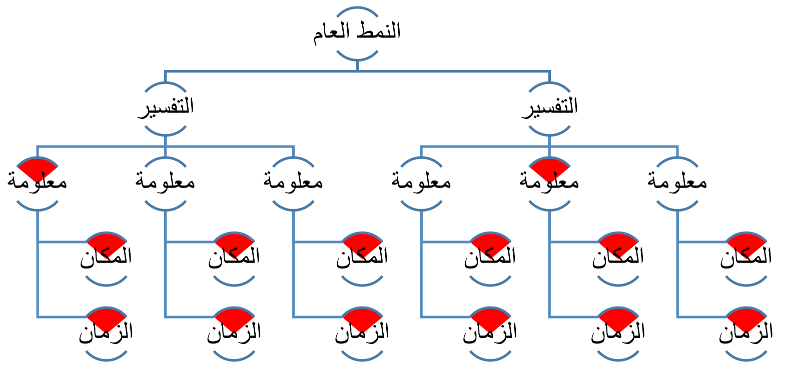

شكل (2): نموذج عبد الوهاب المسيري التحليلي/الموضوعية الاجتهادية.

ملاحظة: العناصر الملونة باللون الأحمر يمكن استبعادها.
المصدر: الكاتب

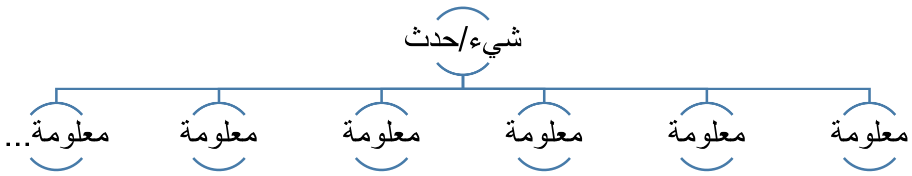

شكل (3): نموذج الموضوعية الفوتوغرافية / المعلوماتية وفقا للمسيري.

المصدر: الكاتب

الخلاصة

يمكننا أن نلخّص مواقف كلّ من الفيلسوفة (آين راند) والمفكّر المصريّ عبد الوهاب المسيري في عرضهما للموضوعيّة كمنهجية تفكير، سواء كانت موضوعيّة فوتوغرافيّة أو موضوعيّة "مسيرية" (اجتهادية)، أنَّ الموضوعيّة الفوتوغرافيّة ترى بأنّ المعلومة المجرّدة والمترابطة مع غيرها من المعلومات المجرّدة الأخرى تشكّل أهمّ عنصر في الموضوعيّة الفوتوغرافيّة، وأنّها تسعى لتوفير أكبر عدد ممكن من المعلومات التّفصيليّة عن الواقع المبحوث، وأنَّ دورها يقتصر على التّحقق من صحة المعلومات وتقديمها كما هي بلا تشويه أو تغيير أو تضخيم أو تهميش أو تحيّز، وأنَّ مهمة تفسير هذه المعلومات المجرّدة متروكة للمتلقي، فهو له حريّة تفسير المعلومات المجرّدة كيفما يشاء، وأنّ ليس من دور الباحث عن المعلومات التّأثير على المتلقي بأيّ طريقة كانت، يمكن من خلالها توجيه المتلقي لفهم المعلومات المجرّدة المترابطة بالصّورة التي يريدها الباحث، أو بصورة يمكن أن تشوّه الواقع وتخلق صورة ذهنيّة مغايرة في ذهن المتلقي، كما وتُقدّم الموضوعيّة الفوتوغرافيّة معايير أو "أخلاق عقلانيّة" يمكن إثباتها واختبارها تساعد على ضمان تنقية المعلومات المقدّمة من كلّ ما يُسيء إلى طبيعتها (جوهرها). ونفهم من رفض الموضوعيّة الفوتوغرافيّة لربط المعلومات ربطًا ذاتيًّا، تفسيريًّا، من قبل الباحث هو حرصها على تجنّب الذاتيّة واحترامها لعقول المتلقين، ولإيمانها بأنَّ المتلقي قادر على الحكم على المعلومات المجرّدة المترابطة وتفسيرها بصورة صحيحة، وربما أفضل من الباحث نفسه، فالباحث الموضوعيّ قادر على أن يُقدّم تفسيره الذاتيّ للمعلومات الموضوعيّة التي جمعها لكنّه لا يضمن أن يكون تفسيره هو التّفسير الأنسب، فالتّفسير الصّحيح للمعلومات مرهون بمعايير أخلاقيّة ومعرفيّة قد لا تكون كاملة عند الباحث عن المعلومات، لكنّها قد تكون متوفرة عند المتلقي.

أمّا الموضوعيّة الاجتهاديّة فركيزتها الأساسيّة هي ليست المعلومة المجرّدة بحد ذاتها، بل التّفسير النّاتج عن ربط المعلومات ببعضها بعضًا، لتُخرج منها تفسيرات محدّدة، والتي تُوصل في النهاية إلى نماذج معرفيّة عامّة. وهي تعترف بعدم قدرة الباحث على التّخلص من ذاتيته وتحيّزه تمامًا كونه إنسان، فالتّحيّز صفة من صفاته يصعب عليه التّخلص منها. وترى الموضوعيّة الاجتهاديّة أيضًا أنَّ عقل الإنسان عقلًا توليديًّا مبدعًا غير سلبيّ فهو قادر على

الحذف والاختيار والتّضخيم والتّهميش والتّحريف والتشويه، (لكنها لا تُقدّم أيّ توضيح عن طبيعة المعايير التي تضبط العمليَّات الذهنيّة هذه، غير وجهة النّظر الذاتيّة) كما أنَّ الموضوعيّة الاجتهاديّة تفتح المجال أمام العقل للبحث والإبداع من خلال اكتشافه لعلاقات تربط بين شيئين أو ظاهرتين لم يكتشفها أحد من قبل، ويجرّد منها أنماطًا عامّة لها مقدرة تفسيريّة، يمكن من خلالها فهم الواقع بصورة جديدة.

والسؤال المطروح هنا: هل يمكن تطبيق "الموضوعيّة الاجتهاديّة" بصفاتها هذه على المحتوى الإعلاميّ في نشرات الأخبار التلفزيونيّة مثلًا؟ وإن كان بالإمكان تطبيقها ما المحصلة النّهائيّة لهذا التّطبيق؟

الموضوعيّة الاجتهاديّة وتطبيقاتها في الإعلام

عند إسقاط صفات الموضوعيّة الاجتهاديّة على أشكال العرض الإخباريّ التلفزيونيّة، نجد أنّها لا تصلح لجميع أصناف النّصوص الإخباريّة وتقتصر إمكانية تطبيقها على بعض الأشكال، مثل التّقرير الإخباريّ الاستنتاجيّ والتّحليلي والخلفياتي وبعض الأخبار البسيطة. في الفقرات القادمة سيتم تحليل تقرير إخباريّ استنتاجيّ تنطبق عليه جميع مواصفات الموضوعيّة الاجتهاديّة التي وضعها عبد الوهاب المسيري، ومن المفترض أن يوفر لنا هذا التّحليل إمكانيّة للحكم على الموضوعيّة الاجتهاديّة ومدى صلاحيتها التّطبيقيّة على المحتوى الإعلاميّ وأشكال عرضه المختلفة.

فالتّقرير الاستنتاجيّ يتطرّق عادة إلى عدة أحداث متشابهة من حيث الموضوع، إلا أنَّها مختلفة من حيث مكان وقوعها وزمانها، للوصول إلى استنتاج عام. ففي هذا النَّوع من التّقارير لا يحتاج مُعدّه إلى ذكر زمن وقوع الأحداث صراحةً، علمًا بأنَّ الحدث الأوّل في التّقرير عادة ما يكون هو الحدث الآنيّ، في حين أنَّ الأحداث الأخرى وقعت في أزمان سابقة مختلفة. إنَّ الغرض من التّطرّق إلى أحداث سابقة مشابهة للحدث الآنيّ ليس التعمّقَ في الخبر من خلال ربطه بسياقه التاريخيّ، كما يحدث في التّقرير الإخباريّ الخلفياتيّ، بل الغرض من ذلك – ها هنا - هو الوصول إلى استنتاج ما يُعطي انطباعًا عامًا عن موضوع خبريّ ما أو قضية ما، أي أنَّ الأحداث الماضية المذكورة في التّقرير الإخباريّ الاستنتاجيّ هي جزء لا يتجزأ منه ولا يمكن الاستغناء عنها (شاهين، 2019، ص511).

"عادةً ما يبدأ التّقرير الاستنتاجيّ بالتّطرّق إلى الحدث الآنيّ وتبيان حقائقه الخبريّة ثمَّ ربط هذا الحدث بأحداث أخرى سابقة مشابهة وقعت في أماكن مختلفة من دون الإشارة إلى زمن وقوعها بالتحديد، وبعد ذلك يصل مُعدّ التّقرير إلى استنتاج ما أو خلاصة عامّة من خلال التّطرّق إلى أوجه الشَّبه بين الأحداث هذه. والملاحظ أنَّ الاستنتاج لا يكون قطعيَّ الدلالة، أي أنَّه لا يُعرض كأنَّه حقيقة مطلقة، بل يجري تقييده وعرضه كوجهة نظر نسبيّة من خلال استخدام عبارات مثل (يبدو أنَّ، ربّما، وكأنَّه..). هذا النَّوع من التّقارير لا يَعدّه المراسل في الميدان عادةً، بل يُعدّه المحرّر في غرفة الأخبار؛ وذلك لحاجته إلى الأرشيف لاستقاء المادّة الفيلميّة عن

الأحداث السّابقة المشابهة للحدث الآنيّ، وكما أنّه لا يحتاج - في العادة - إلى مقتطفات صوتيّة لأشخاص" (شاهين، 2019، ص511).

ومن الأمثلة على التّقرير الإخباريّ الاستنتاجيّ تقرير قناة الجزيرة حول توقيف مسلمة بريطانيّة لقراءتها كتابًا عن الفنّ في سوريا في إحدى الطّائرات البريطانيّة (الجزيرة، يوتيوب،2016)؛ فقد بدأ التّقرير بالحديث عن الحدث الآنيّ هذا وهو اعتقال المسلمة البريطانية في أحد مطارات بريطانيا، ثمَّ عادت إلى الوراء لتلقيَ الضَّوْءَ على حدثٍ سابقٍ مشابهٍ وقع مع رجل إريتريّ في مطار روما، ثمَّ تحدّثت عن واقعة أخرى مشابهة حصلت لعائلة مسلمة في أمريكا، حيث طُرِدت من الطّائرة بسبب هيئتها المسلمة، وفي آخر التّقرير توصلّت إلى استنتاج بأنَّ العالم الغربيّ يعيش حالةً من الخوف من الإسلام (الإسلاموفبيا) واتهام المسلمين بالإرهاب.

وحتّى يتأكّد القارئ بنفسه من محتوى التّقرير الإخباريّ الاستنتاجيّ هذا، جرى تفريغ نصّه مع جميع لقطات صوره، تمامًا كما ظهرت في التّقرير على شاشة نشرة الأخبار.

مثال (1): تقرير قناة الجزيرة حول توقيف مسلمة بريطانيّة لقراءتها كتابًا عن الفنّ في سوريا.

(1) قراءتك لكتاب على متن طائرة قد تكفي لاعتبارك إرهابيًّا. هذا ما حدث مع فايزة شاهين عندما اختارت أنْ تجالس كتابًا وهي عائدة إلى بريطانيا من شهر عسل في مدينة مرمريس التركيّة على متن طائرة تابعة لشركة ثومسن.	(2) كان كتاب "سوريا تتكلّم الفنّ، الثّقافة على خطوط المواجهة" الحاصل على جائزة بيل البريطانيّة	(4) دليل الشُّبهة لأحد أفراد طاقم الطّائرة ليُبلّغ عن فايزة وعند وقوفها في صفّ الجوازات داخل المطار أُوقِفَتْ من قِبل شرطة مطار دون كاستر للاشتباه بأنّها إرهابيّة.
(4) المفارقة أنَّ فايزة تعمل في وزارة الصّحّة البريطانيّة في مجال حماية ووقاية الأطفال والمراهقين من الانجرار خلف التنظيمات المتطرّفة.	(5) لم تكنْ حادثة فايزة استثناءً، فقد سبقتها حالات مشابهة، رُهاب اللحية أدى إلى طرد مسافر إرتيريّ من على متن طائرة بريطانيّة قبل أن تُقلع من روما متّجهةً إلى مطار هيثرو في لندن.	(6) والسَّبب أنَّ راكبة توجّزت من شكله،

(6) فظنته مسلمًا وينوي تنفيذ عمل إرهابيّ.	(7) وكانت مخاوف السّيّدة تلك سببًا في حبسه	(8) للتحقيق لمُدّة خمسَ عشرةَ ساعة، الإسلامفوبيا لم يتعاظم ضمن القارة الأوروبيّة فقط،
(9) فلا تزال حالة طرد العائلة المسلمة	(10) في أمريكا ماثلةً في الأذهان.	(11) بعد أنْ وثّقتها الأمّ بكاميرتها حين طُلب منها ومن عائلتها النّزول من الطّائرة بداعي سلامة الطّيران، لكنَّ السّيّدة أكدّت أنَّ العنصريّة والمظهر الإسلاميّ للعائلة هما السبب.
(12) حوادث تعود ـ في المقام الأوّل ـ	(13) إلى الصّورة النّمطيّة عن المسلمين كإرهابيّن حتّى يَثبُتَ العكس.	(14) هي ظاهرة يبدو أنّها بدأت تستشري في المجتمعات الغربيّة
(15) التي تعيش في الآونة الأخيرة على وقع هجمات متتالية	(16) وربّما يكون انصياع السُّلطات لمخاوف النّاس	(17) من كلّ مَن يحمل مظهرًا إسلاميًّا

(18) أمرًا يغذّي الظاهرة

(19) في بلدان تتغنّى - على الدوام - بالحريّات الشّخصيّة والدّينيّة.

فهذا التّقرير تطرّق إلى ثلاثة حوادث متشابهة وهي:

- إيقاف فتاة مسلمة في مطار (دون كاستر) في بريطانيا للاشتباه بأنّها إرهابيّة.
- طرد شاب إرتيري (مسيحيّ) ذو معالم إسلاميّة من طائرة في روما واحتجازه للتحقيق معه.
- طرد عائلة مسلمة من الطّائرة في أمريكا.

الحوادث الثّلاثة هي بمثابة ظواهر متكرّرة جرى الرّبط بينها للوصول إلى خلاصة بأنّ ثمة ظاهرة في المجتمعات الغربيّة مفادها انتشار الصّورة النّمطيّة عن المسلمين كإرهابين حتّى يثبت العكس، إذ تقول مُعدّة التّقرير:

"حوادث تعود - في المقام الأوّل - إلى الصّورة النَّمطيّة عن المسلمين كإرهابيّن حتّى يَثْبُتَ العكس. هي ظاهرة يبدو أنّها بدأت تستشري في المجتمعات الغربيّة التي تعيش في الآونة الأخيرة على وقع هجمات متتالية، وربّما يكون انصياع السُّلطات لمخاوف النَّاس من كلّ مَن يحمل مظهرًا إسلاميًّا أمرًا يغذّي الظاهرة في بلدان تتغنّى - على الدوام - بالحريّات الشّخصيّة والدّينيّة" (الجزيرة، يوتيوب، 2016).

ولو حللنا التّقرير الاستنتاجيّ هذا لوجدنا أنّه يتماشى مع ما يدعو إليه المسيري، فهو يحتوي على جميع عناصر "نموذجه التّحليليّ":

- الرّبط بين عدة معلومات تشكّل في مجموعها ظاهرة مشتركة (حدث ما).
- تجريد المعلومات من فضائها الخاصّ (زمانها ومكانها المباشرين ومناسبتها).
- استبعاد بعض المعلومات بحسبانها غير دالة (من وجهة نظر معد التّقرير).
- الرّبط بين عدة ظواهر تتشارك بالتّفسير نفسه.
- الخروج بنمط عام يمكن تعميمه.
- التّحيز لجهة على حساب جهة أخرى (ضمنيًّا أو صراحة).

فالملاحظ –ها هنا- أنَّ مُعدّة التّقرير جمعت معلومات متعدّدة حول ثلاثة حوادث متفرقة عرضتها تتابعيًّا، ثمّ فسّرت كلّ مجموعة معلوماتيّة خاصّة بكلّ حدث على أنّها مرتبطة

بالإسلاموفوبيا، ثمّ استخلصت من الحوادث الفرديّة الثّلاثة هذه ظاهرة عامّة وهي أنَّ حالة من الإسلاموفوبيا تجتاح العالم الغربيّ. وحتّى يتحقق لها هذا الهدف تعمدّت إخفاء زمن وقوع هذه الحوادث جميعها، فإخفاء وقت وقوع الأحداث (وخصوصًا الحدثيْن الثاني والثالث، على اعتبار أنَّ الحدث الأول آنيّ، وقع في يوم بث التّقرير) أعطى انطباعًا بأنَّ ثمّة حالة من "الإسلاموفوبيا" بالفعل تجتاح المجتمعات الغربيّة. أمّا لو كشفت لنا مُعدّة التّقرير وقت وقوع كلّ حدث، وكانت أحداثًا متباعدة زمنيًّا (كما هي متباعدة بالفعل مكانيًّا) عندها سيخف الانطباع لدى المتلقي، وستضعف حُجة مُعدّة التّقرير باعتبار الحوادث هذه ظاهرة يمكن تعميمها على المجتمعات الغربيّة. فتوقيف ثلاثة مسافرين في عام واحد، لا يمكن اعتباره ظاهرة عامّة.

الأمر الآخر لا يمكن أن نحكم على ثلاثة حوادث فقط على أنّها ظاهرة عامّة، خصوصًا لو قارنا عدد هذه الحوادث بعدد المسافرين سنويًّا من الدول العربيّة والإسلاميّة وحدها إلى العالم الغربيّ، والذي يُقدّر بمئات الآلاف.

كما أنَّ مُعدّة التّقرير أخفت بعض التّفاصيل عن عمليّة اعتقال بطلة القصّة الأولى (فايزة شاهين)، فلا نعرف إن تمّ إطلاق سراحها فورًا بعد استجوابها (باعتبار أنَّ سبب الاتهام باطل وتافه)، أم تمّ التّحفظ عليها لساعات طويلة (بحيث تعرّضت لمضايقات لمدة طويلة)، أم تمّ اعتقالها ومحاكمتها (بعد أن وجدتها الشّرطة مذنبة وتستحق العقوبة)، فاستبعاد إجابات هذه الأسئلة خلق صورة مجهولة في ذهن المتلقي عن مصيرها، وهو أمر ضخّم خطورة المصير الذي آلت إليه هذه الفتاة، وبالتالي مهّد لتقبّل المتلقي للاستنتاج الذي توصّلت إليه مُعدّة التّقرير.

هذا بالإضافة إلى أنَّ مُعدّة التّقرير قد أخفت وجهة نظر السُلطات في البلاد التي وقعت فيها الحوادث الثّلاثة، وأبرزت قصص الأشخاص الثّلاثة فحسب، ولم تُخفِ تحيّزها لصاحبة القصّة الأولى من خلال استنكارها لما حدث لها. وقد كان هذا واضحًا من خلال جر المتلقي ومخاطبته مباشرة ليستشعر تفاهة سبب اعتقال (فايزة شاهين) بقولها: "قراءتك لكتاب على متن طائرة قد تكفي لاعتبارك إرهابيًّا" (الجزيرة، يوتيوب، 2016).

علاوة على ذلك أنَّ استنتاج مُعدّة التّقرير "وربّما يكون انصياع السُّلطات لمخاوف النَّاس من كلّ مَن يحمل مظهرًا إسلاميًّا أمرًا يغذّي الظاهرة في بلدان تتغنّى - على الدوام - بالحريّات الشّخصيّة والدّينيّة" (الجزيرة، يوتيوب، 2016)، قد يتفق معه بعض المتلقين وقد يختلف البعض الآخر، خصوصا أنّها نفسها لم تقدّم استنتاجًا يقينيًّا، وهذا واضح من استخدامها لتعابير تجعل الأمر يبدو نسبيًّا (يبدو أنّها بدأت تستشري...، وربّما يكون انصياع السُّلطات..).

نستنتج من تحليل هذا التّقرير بأنَّ الموضوعيّة الاجتهاديّة تخلق صورة مشوهة للوقائع الخبريّة، فتخفي معلومات وتضخّم أخرى بناء على وجهة نظر ذاتيّة، بلا ضوابط أو معايير، وتجرّد معلومات من مكانها وزمانها الخاص عن قصد، وتربط أحداثًا متفرّقة لها خصوصياتها المتفرّدة باعتبارها متشابهة، وتخرج باستنتاجات نسبية غير قطعيّة، قد يتفق معها البعض ويختلف البعض الآخر، كما أنَّ التّحيّز فيها لجانب ضد آخر ظاهر وربما يصل درجة الوضوح القطعيّ.

إنَّ هذا النّوع من "الموضوعيّة" يسمح بتقديم اجتهادات إعلاميّة تشوّه الواقع الحقيقيّ بذاتيّة مفرطة، وتحيّز واضح، ويُعزّز الصّور النّمطيّة عن المجتمعات، وينشر الكراهية بينها، ويعمّم الحوادث الفرديّة ويضخمها، وفيه دعاية مبطّنة، وهي كلّها أمور بعيدة كلّ البعد عن "الأخلاق العقلانيّة" والمبادئ المهنيّة للفلسفة الموضوعيّة بصورة عامّة.

مثال آخر

من الملاحظ أيضًا أنَّ مسألة السّماح للقائم بعمليّة الاتصال بالرّبط بين المعلومات الخبريّة بحجة الاجتهاد في تفسير الظواهر الخبريّة، قد يجرّ معه الكثير من التحيّز والاتهام المبطّن ويخلق صورة ذهنيّة مشوّهة للواقع في ذهن المتلقي، ليس فقط على مستوى التّقارير الإخباريّة، بل على مستوى الأخبار البسيطة أيضًا؛ فبعض الإعلاميّن قد يربطون بين معلومتيْن خبريتيْن بطريقة خاطئة عن قصد أو من دون قصد، وبالحالتيْن يساهمون بهذا في تشويه الواقع، وإن تُركت المعلومتان من دون ربط، لربطهما المتلقي بالصّورة الصّحيحة من دون مساعدة من أيّ أحد.

ومن الأمثلة على أنَّ مسألة الرّبط الخاطئ بين المعلومات يُمكن أن يُنتج تفسيرًا خاطئًا أيضًا، ما بثته قناة العربيّة في 26.05.2005 عن لقاء الرئيس الفلسطينيّ الجديد حينها (محمود عباس) مع الرئيس الأمريكيّ (جورج بوش) في البيت الأبيض، فقد عنوَنت القناة الخبر بعنوان يحمل في طياته تفسيرًا خاطئًا للحدث: "عباس يُطالب باستئناف مفاوضات الدّولة وبوش يرد بـ 50 مليون دولار معونة للفلسطينيين" (قناة العربية، 2005). ويُفهم من هذا العنوان أنَّ الرئيس الفلسطينيّ طالب الرئيس بوش بالضّغط على إسرائيل لدفعها إلى استئناف المفاوضات بينهما، وهي مفاوضات من شأنها أن تُوصل إلى إعلان الدّولة الفلسطينيّة، إلا أنَّ بوش "يردّ" عليه بإعطائه 50 مليون دولار كمعونة للفلسطينيين، أي أنَّ بوش أعطاه هذا المبلغ لإسكاته (وربّما لرشوته) وليكفّ عن المطالبة بإقامة الدّولة الفلسطينيّة!!

مثال (2):

نصّ خبر قناة العربية في 26.05.2005	الصور المرافقة
السّلام عليكم... نحيّكم وهذه نشرة الأخبار المفصّلة.. لم يتمخض لقاء الرئيس الأمريكيّ جورج بوش بالرئيس الفلسطينيّ محمود عباس عن أي تعهدات زمنيّة لاستئناف المفاوضات.	

ودعا بوش إسرائيل في المقابل إلى وقف المستوطنات في الضّفة الغربيّة وإلى تفكيك المستوطنات غير القانونيّة. وطالب بوش خلال مؤتمر صحافيّ مشترك عقده مع الرئيس الفلسطينيّ، دعا([1]) الدول العربيّة إلى خلق - ما سمّاه - بالبيئة الملائمة للسّلام. **كما تعهّد بوش بتقديم معونة بخمسين مليون دولار لمساعدة الفلسطينيين.**

من جهته طالبَ الرئيسُ الفلسطينيّ محمود عباس باستئناف المفاوضات حول إقامة دولة فلسطينيّة اعتباراً من انتهاء الانسحاب الإسرائيليّ من غزة. وقال عبّاس إنَّه يتوقّع دعمًا لحمل إسرائيل على الوفاء بكلّ التّعهدات التي تمّ التّوصل إليها في شرم الشّيخ.

كان يمكن أن يستقر هذا الفهم النّاتج عن ربط معلومتين خبريتيْن مختلفتيْن في ذهن المتلقي تمامًا كما أرادت المحطّة الإخباريّة، لولا أنّها أجرت مقابلة مع وزير الخارجيّة الفلسطينيّ آنذاك (نبيل شعث) ليتضح أنَّ الأمر ليس كما حاولت لمحطة تفسيره:

بدأت المقابلة بسؤال يعزّز تفسير المحطّة للحدث، إذ قال المذيع:

"دكتور، بداية خمسين مليون مقابل الطّلب الفلسطينيّ باستئناف مفاوضات الدّولة، هل هي نتيجة عادلة فلسطينيًا برأيك؟"

إلا أنَّ إجابة وزير الخارجية الفلسطينيّ على هذا السؤال فنّدت محاولة التّفسير الخاطئة النّاتجة عن الرّبط بين المعلومات، فكشف الوزير أنَّ الموضوعيْن مختلفيْن، وأنَّ مسألة الخمسين مليون دولار لم تكن مقابل إسكات الفلسطينيين عن المطالبة بالدّولة الفلسطينيّة، بل تطبيقًا لوعد كان الرئيسُ الأمريكيّ قد منحه للفلسطينيين والكونغرس قام بإلغائه. إنَّ التّفسير الخاطئ هذا، سواء كان عن قصد أو من دون قصد، كان يمكن أن يخلق صورة مشوّهة عن الواقع، لولا مداخلة الوزير الفلسطينيّ. ومن هنا يتضح أنَّ مسألة تفسير المعلومات الموضوعيّة المجرّدة من قبل القائم بعملية الاتصال قد تضر بالمحتوى الإعلاميّ وفي عمليّة استيعابه.

(1) هكذا ورد في النّص.

مثال (3):

نصّ السّؤال الأول للمقابلة الإخباريّة وجوابه	**الصّور المرافقة للمقابلة الإخباريّة**
ومعنا من عمّان نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الإعلام الفلسطينيّ الدكتور نبيل شعث، والذي سيحدّثنا عن زيارة الرئيس الفلسطينيّ إلى واشنطن والتصريحات المشتركة للرئيسيْن بوش وأبو مازن. دكتور... بداية خمسين مليون مقابل الطّلب الفلسطينيّ باستئناف مفاوضات الدّولة، هل هي نتيجة عادلة فلسطينيًّا برأيك؟	
لا... لا ليست المسألة هكذا، خمسين مليون هي.. يعني.. محاولة تلافي خطأ حدث نتيجة أنَّ الكونجرس ألغى ما كان قد وعد الرئيس به. يعني.. الرئيس بوش وعد الرئيس عبّاس وهو يعيد الأمور إلى نصابها لكي لا يكون هناك رسالة خاطئة أنّهم يعدوننا، ولا يستطيعون حتّى على تنفيذ الجزء الخاصّ بهم، وهو الدعم الماليّ المباشر للسلطة الفلسطينيّة. هذا ليس تعويضًا عن شيء وإنّما تعويضًا عن خطأ ارتكبه الكونجرس. الحقيقة إنّه الرئيس بوش عاد، ولأول مرّة بشكل كامل وواضح ووضع النّقاط التي طالب بها الرئيس عباس على الطاولة. وفي مؤتمره الصّحافيّ تحدّث عن موقفه من الاستيطان، ومن الجدار، وعن أولوية وأهمّيّة قضايا الحلّ النّهائيّ، وضرورة عدم الإجحاف بها. تحدّث عن القدس.. تحدّث حول العودة إلى حدود 28 سبتمبر. يعني كلّ القضايا التي كنّا وما زلنا نخشى من محاولة إسرائيل تغييبها بذريعة الانسحاب من غزة...	

وفي هذا السّياق يقول يورغ هويزرمان (Jürg Häusermann):

"يجب استخلاص تأويلات الخبر وتفسيراته من تحليل وربط المعلومات الصّحيحة المتوفرة عن الخبر بطريقة صحيحة [...] فبث التّخمينات الخاطئة المبنيّة على معلومات خاطئة وآراء الصحفيّ الشّخصيّة عن خبر ما، لا يتناسب مع ركن الموضوعيّة. فحدود الموضوعيّة يجري تجاوزها إذا كانت تفسيرات حدث ما غير مثبته بالحقائق" (Häusermann & Käppeli,1986. p. 173).

ونحن نرى ضرورة ترك عملية **الرّبط المباشرة** بين المعلومات للمتلقي وعدم محاولة التّأثير عليه باتجاه ما، فهو قادر على تقدير الأمور وفهمها بالطّريقة التي يراها مناسبة، فأي محاولة من قبل الإعلاميّ لتقديم **تفسير ذاتيّ** للمعلومات قد يشوّه الواقع الحقيقيّ ويُسيء لعمليّة استيعابه من قبل المتلقي.

الموضوعيّة الفوتوغرافيّة وتطبيقاتها في الإعلام

أمّا الموضوعيّة الفوتوغرافيّة المعلوماتيّة فيصعب تطبيقها كما هي في الإعلام أيضًا، ويعود ذلك لعدة أسباب تختلف عن تلك الأسباب الخاصّة بالموضوعيّة الاجتهاديّة من عدة أوجه:

- إنَّ اعتماد الموضوعيّة الفوتوغرافيّة المعلوماتيّة المفرط على توفير أكبر عدد ممكن من المعلومات المترابطة (مكانيًّا وزمانيًّا) حول أمر ما، يزيد من انعكاسها للواقع الحقيقيّ. إلا أنَّ المشكلة تكمن – ها هنا - في عمليّة نقل هذه المعلومات والتّفاصيل إلى المُتلقي، فلا يملك المتلقي القُدرة الذهنيّة لاستيعاب هذه الكميّة من المعلومات. فوفق **"نموذج القدرات المحدودة لمعالجة المعلومات لدى البشر"** يفترض أنَّ كلّ شخص يمكنه معالجة كميّة محدودة فقط من المعلومات في وقت معين (Steinbach, 2005, p10)، مما يجعل بثّ جميع المعلومات الخاصّة بموضوع خبريّ معين أمرًا غير مُجدٍ.

- كما أنَّ من طبيعة وسائل الإعلام أنّها تنقل المعلومات ضمن وحدات وظيفيّة في نشرة الأخبار (أشكال عرض إخباريّ، مثل: أخبار بسيطة، تقارير إخباريّة، مقابلات إخباريّة، ريبورتاجات...) وهي وحدات محدّدة زمنيًا، ولا يُمكن بثّ كميّات كبيرة من المعلومات عن حدث ما فيها إلا بعد معالجتها صحفيًّا ضمن هذه الوحدات الوظيفيّة.

- عند نقل وسائل الإعلام لحدث ما نقلًا كاملًا (مباشرًا، أو مسجلًا) سواء كان مؤتمرًا صحفيًّا، أو خطابًا سياسيًّا، أو جلسات برلمانيّة، أو زيارات للسياسيين، أو مؤتمرات، من دون معالجة صحفيّة، فإنّها توفر كميّة كبيرة من المعلومات للمتلقي، إلا أنَّ هذه المعلومات لن تكون مفهومة له، فهو بحاجة إلى "معلومات صحفيّة مساعدة" تُعينه على فهم الحدث بصورة أفضل، كمعرفة السّياق الذي تُبث فيه هذه المعلومات ومعرفة مناسبتها ودوافعها، ومصادرها ومكانها وزمانها والأشخاص المشاركين فيها وما المهم فيها، كما أنّ المتلقي لا يملك الوقت الكافي لمتابعة حدث واحد لمدة طويلة، من دون معلومات مساعدة تعينه على فهم الحدث فهمًا سليمًا.

إلا أنَّ الميزة الحسنة في الموضوعيّة الفوتوغرافيّة المعلوماتيّة أنّها توفر مادة معلوماتيّة خام للمتلقي من دون تفسيرات ذاتيّة أو تشويهات أو تضخيم أو تهميش أو اختزال أو تحيّز، وهذا الأمر يُوفر - من خلالها - إمكانيّة جيدة لإعادة تركيب الحدث الواقعيّ في وسائل الإعلام بصورة وثيقة الصّلة بالواقع - إنَّ التزم الإعلاميّ بمعايير مهنيّة وأخلاقيّة مضبوطة - إلا أنّ اعتماد الموضوعيّة الفوتوغرافيّة المعلوماتيّة في وسائل الإعلام كما هي، ومن دون معالجة صحفيّة مهنيّة، لن يجدي نفعًا للمتلقي، إذ يحتاج المرء إلى المعلومات المهمة فقط لفهم طبيعة الحدث، أمّا التفاصيل فيمكن أن تشكّل عائقًا لفهمه، إلا أنَّ مسألة انتقاء المعلومات الخبريّة يجب أن تكون مضبوطة بمعايير موضوعيّة لا تترك للذاتية مجالًا لتشويهها أو التلاعب فيها بصورة تشوه الواقع. (وقد تطرّق إلى هذه المسألة الثنائيّ الألمانيّ (Schatz & Schulz) بدراسة لهما فصّلنا

الحديث عنها في بحث آخر بعنوان: "الموضوعيّة الاحترافيّة: مساهمة ألمانيّة في وضع أركان معياريّة للموضوعية في الإعلام").

وللتدليل على عدم فاعليّة الموضوعيّة الفوتوغرافيّة المعلوماتيّة لوسائل الإعلام، سأضرب مثالًا من وكالات الأنباء عن كلمة الرئيس اللبنانيّ (ميشيل عون) في بدء الذكرى المئوية لإعلان دولة لبنان الكبير في 31.08.2019 (كلمة الرئيس عون، يوتيوب، 2019). فقد نشرت وكالة الأناضول التركيّة هذا الخطاب كاملًا، وتبلغ مُدته أحد عشر دقيقة وثانيتان (11:02). عند الاستماع إليه يُلاحظ المرء أنّه يتطرّق إلى مواضيع مختلفة تخص الدّولة والشّعب اللبنانيّ، وفيه فقرة تتحدّث عن فترة الحكم العثمانيّ للبنان، والذي وصفه عون بـ "إرهاب الدّولة العثمانيّة"، فهذا الخطاب يمثّل المادة الخام لحدث واقعيّ، أي أنّه بمثابة "صورة فوتوغرافية موضوعيّة" لحدث ما، فلم تطرأ عليه أي تغييرات أو تشويهات أو تهميش أو اختزال أو حذف، أو أي من المعالجات الصحفيّة من مونتاج أو تقطيع أو انتقاء، أو تفسير أو تحليل، فلو بُث هذا الخطاب كما هو فلن يفهم المتلقي كلّ معاني خطاب الرئيس اللبنانيّ لعدم معرفته بسياق الخطاب ومناسبته ومكانه وزمانه وأهمّيته.

ولكن وبسبب اهتمام الموضوعيّة الفوتوغرافيّة المعلوماتيّة بتوفير أكبر عدد ممكن من المعلومات، قامت وكالة الأناضول نفسها بمتابعة ردود الفعل المختلفة على كلمة الرئيس اللبنانيّ، فنشرت تصريحًا مطولًا للأمين العام للجماعة الإسلاميّة في لبنان في 04.09.2019، والذي قال فيه إن خطاب عون "فئوي" ويدّمر التركيبة اللبنانيّة (أمين عام الجماعة الإسلامية، يوتيوب، 2019). تبلغ مدة اللقاء ستة دقائق وواحد وأربعين ثانية (6:41)، وهي مدة زمنيّة تُضاف إلى مدة كلمة الرئيس اللبنانيّ باعتبارها ردة فعل على الخطاب. ولم تكتفِ وكالة الأناضول بذلك بل نشرت مادة فيلمية أخرى بعنوان: "لحظة الاعتداء على السّفارة التركيّة في بيروت" في 05.09.2019، يبلغ طولها دقيقة وإثنين وأربعين ثانية (01:42) (لحظة الاعتداء، يوتيوب، 2019)، يظهر فيها مجموعة من الشّبان المناصرين للرئيس اللبنانيّ (عون) وهم يعلّقون لافتة مسيئة تحتوي على العَلم التُركيّ وفي وسطه جمجمة على بوابة السّفارة التركيّة في بيروت، ثمّ بثت الوكالة مادة فيلمية أخرى بعنوان "لبنانيون يستنكرون تصريح رئيس البلاد بحق الدّولة العثمانيّة في 06.09.2019، تبلغ مدة المادة المصوّرة ثلاث دقائق وواحد وعشرون ثانية (3:21)، وفيه يتظاهر مجموعة من اللبنانيين بعد صلاة الجمعة في طرابلس وهم يُعبّرون عن استنكارهم لما جاء في كلمة الرئيس (عون) بخصوص الدّولة العثمانيّة (لبنانيون يستنكرون، يوتيوب، 2019).

مثال (4):

	تاريخ بث المادة	عنوان المادة الإعلاميّة	مدتها	مقطع صوري
.1	31.08.2019	كلمة الرئيس عون في بدء الذكرى المئوية لإعلان دولة لبنان الكبير	11:02	
.2	04.09.2019	أمين عام الجماعة الإسلامية في لبنان: خطاب عون "فئوي" ويدّمر التركيبة اللبنانيّة.	06.41	
.3	05.09.2019	لحظة الاعتداء على السّفارة التركيّة في بيروت	01:42	
.4	06.09.2019	لبنانيون يستنكرون تصريح رئيس البلاد بحق الدولة العثمانيّة	03:21	

إننا نفهم من قائمة الموادّ الفيلميّة أعلاه أنّ المواد الإعلاميّة يُمكن أن تُوفّر أحداثًا واقعيّة على شكل موادّ خام غير معالجة صحفيًا، تُعطي صورة شبه كاملة (تكاد تكون فوتوغرافيّة) عن الحدث وردود الفعل عليه، إلا أنّ هذه المادة الخام بصفتها هذه تحتوي على معلومات كثيرة، وستزداد كثرة إن أُضيفت إليها المادة النّصيّة المرافقة للمادة الفيلمية التي نشرتها وكالة الأنباء التركيّة، فلو أُعيد بث هذه الموادّ كما هي في نشرة الأخبار التّلفزيونيّة (مجتمعة أو متفرقة) فإنها ستأخذ مساحة زمنيّة طويلة في النّشرة، كما أنّها ستحتوي على معلومات كثيرة جدًا لن يتمكّن المتلقي من استيعابها وفهمها، لهذا فإنّ هذه الموادّ بحاجة إلى معالجة صحفيّة مضبوطة بمعايير مهنيّة وأخلاقيّة معيّنة تضعها في سياقها الصّحيح، وتنتقي منها المعلومات المهمّة والمعبّرة عن الواقع الحقيقيّ وتعيد تركيبه إعلاميًّا من دون تشويهه أو التلاعب به، خصوصًا أنّ هذه الأخبار جاءت تتابعيًّا. فلو بثت قناة تلفزيونيّة الحدث الأخير: (لبنانيون يستنكرون تصريح رئيس البلاد

بحق الدّولة العثمانيّة) من دون وضعه في سياق الأحداث الذي سبقته، ستتكّون صورة مشوّهة عن الحدث، وبالتالي لن تتكوّن صورة وثيقة الصّلة بالواقع بصورته الكاملة في مخيّلة المتلقي.

يتضح من هذا العرض أنَّ الموضوعيّة الفوتوغرافيّة المعلوماتيّة، بسبب صفاتها الذاتيّة المشروحة سابقًا، ليست مناسبة عمليًّا لأن تكون أسلوبًا منهجيًّا لإعادة تركيب الحدث الواقعيّ في وسائل الإعلام، لأنها توفّر معلومات كثيرة لا يمكن استيعابها ذهنيًا، كما أنَّ كميتها الكبيرة لا تجد لها مكانًا في نشرات الأخبار، هذا بالإضافة إلا أنّها ستظل مبتورة معلوماتيًّا لعدم قدرتها الذاتيّة على توفير معلومات مساعدة أخرى ضروريّة لفهمها، مثل سياقها الموضوعاتيّ والزمنيّ والمكانيّ وغيرها، ولعدم قدرتها على إبراز المعلومات المهمّة ضمن الكمّ الهائل من المعلومات التي تقدّمها.

نتائج الدراسة

نستنتج من كلّ ما سبق أنَّ الموضوعيتيْن، الفوتوغرافيّة والاجتهاديّة، لهما إيجابياتهما وسلبياتهما، إلا أنَّ سلبياتهما أكثر من إيجابياتهما. فمن إيجابيات الموضوعيّة الفوتوغرافيّة أنّها توفّر أكبر عددٍ ممكن من المعلومات النّصيّة والصّوريّة عن حدث معيّن، فتساعد في التقرّب من الواقع الحقيقيّ قدر المُستطاع، وتوفّر مادة معلوماتيّة خام يُمكن الاعتماد عليها في إعادة تركيب الواقع الحقيقيّ إلى واقع إعلاميّ وثيق الصّلة بالواقع الحقيقيّ، إلا أنَّ كميّة المعلومات الكبيرة هذه نفسها تُشكّل – من جهة أخرى - نقطة ضعف لعدم قدرة المتلقي على استيعاب هذه الكميّة الكبيرة من المعلومات النّصيّة والصّوريّة في وقت واحد، وعدم قدرة أيّ وسيلة إعلاميّة على استيعابها أيضًا. أمّا إيجابيات الموضوعيّة الاجتهاديّة فتتمثّل في رؤيتها ضرورة انتقاء بعض المعلومات التي تُشكّل مجتمعة وحدات ذات صفات مشتركة من بين الكمّ الهائل للمعلومات الموضوعيّة، إلا أنَّ هذه الإيجابيّة نفسها تُشكّل – من جهة أخرى – نقطة ضعف أيضًا، وذلك لاعتماد عمليّة انتقاء المعلومات على أحكام ذاتيّة غير مضبوطة بأسس وقواعد ومعايير عقلانيّة واضحة. ومن سلبياتها أيضًا أنَّ كثيرًا ما تكون التّفسيرات النّاتجة عن الرّبط بين المعلومات الموضوعيّة من قِبَل جامع المعلومات نفسه ذاتيّة ومتحيّزة في الوقت ذاته، ما يجعلها أقرب إلى المزاج الشّخصيّ، وهي صفة تفتح الباب أمام تشويه الحقائق الواقعيّة والانحراف عن الموضوعيّة السّليمة.

التوصيات

من هنا يتضح ضّرورة البحث عن موضوعيّة "احترافيّة" ذات معايير مضبوطة بقواعد وأسس وأخلاق عقلانيّة قادرة على تجاوز سلبيّات كلّ من الموضوعيّة الفوتوغرافيّة والاجتهاديّة، بصورة تسمح بنقل المعلومات الموضوعيّة من الواقع الحقيقيّ إلى الواقع الإعلاميّ بشكل وثيق الصّلة به ولكن ليس بصورة فوتوغرافية وببغائيّة، وبما يتناسب مع القدرات المحدودة لوسائل الإعلام في انتقاء المعلومات الخبريّة وإعادة تركيبها ضمن وحداتها الوظيفيّة من أخبار وتقارير، وكذلك من دون تقديم تفسيرات ذاتية للأحداث تُخرج المعلومات من سياقاتها المكانيّة والزمنيّة ومن دون إظهار أي شكل من أشكال التحيّز لأي طرف.

المراجع باللغة العربية

- أمين عام الجماعة الإسلامية في لبنان: خطاب عون "فئوي" ويدمر التركيبة اللبنانية. يوتيوب. تاريخ النشر: 04 سبتمبر 2019. https://www.youtube.com/watch?v=ThLY9yo7SbU.
- آين راند، أول مقابلة متلفزة 1959، يوتيوب، لا يوجد تاريخ نشر. https://www.youtube.com/watch?v=vxbC6g_VcBo.
- المسيري، عبد الوهاب. (2000)، *رحلتي الفكرية، في البذور والجذور والثمر*. ط1. سيرة غير ذاتية غير موضوعية، الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة.
- المسيري، عبد الوهاب. (2005). موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ج1. دار الشروق، القاهرة. في الإنترنت: https://www.kutub-pdf.net/downloading/GdbyI.html.
- المكي، هشام. (2012). من العقل السلبي إلى العقل المبدع: قراءة في مساهمات عبد الوهاب المسيري المنهجية في البحث الاجتماعي. (ج1، ج 2)، تاريخ النشر: 18 ديسمبر 2012. في الإنترنت: http://nama-center.com/Articles/Details/166.
- برتيمة، وفاء. (2009). *الرؤية النقدية للمسيري في إشكالية التحيز للحضارة الغربية، الحداثة نموذجا*. قسم الفلسفة. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة الجزائر. في الأنترنت: http://193.194.83.98/xtf/data/pdf/1044/BERRTIMA_WAFA.pdf.
- شاهين، فايز. (2019). التقرير الإخباري في نشرة الأخبار التلفزيونية: أنواعه، أهميته، عناصره، طبيعته، لغته، وقوالب إعداده. دار نشر جامعة قطر. الدوحة.
- صحيفة اليوم السعودية. الإنترنت. تاريخ النشر: 25 سبتمبر 2005. https://www.alyaum.com/articles/313584/عبد-الوهاب-المسيري.
- في الإنترنت: https://hekmah.org/wp-content/uploads/2018/10/آين-راند-موسوعة-ستانفورد-للفلسفة.pdf
- قناة الجزيرة. *توقيف مسلمة بريطانيّة لقراءتها كتابًا عن الفنّ في سوريا*. يوتيوب، 04 أغسطس 2016، https://www.youtube.com/watch?v=c62kHHiHCCs.
- قناة الجزيرة. *توقيف مسلمة بريطانيّة لقراءتها كتابًا عن الفنّ في سوريا*. يوتيوب، 04 أغسطس 2016، https://www.youtube.com/watch?v=c62kHHiHCCs.
- قناة العربيّة. عباس يُطالب باستئناف مفاوضات الدولة وبوش يرد بـ 50 مليون دولار معونة للفلسطينيين، تاريخ البث: 26 مايو 2005 (أرشيف الكاتب).
- كلمة الرئيس عون في بدء الذكرى المئوية لإعلان دولة لبنان الكبير. يوتيوب. تاريخ النشر: 31 أغسطس 2019. https://www.youtube.com/watch?v=LmYrEAB6mTM.

- لبنانيون يستنكرون تصريح رئيس البلاد بحق الدولة العثمانيّة. يوتيوب. تاريخ البث: 06 سبتمبر 2019. https://www.youtube.com/watch?v=LbrfRLIQepg.
- لحظة الاعتداء على السّفارة التركيّة في بيروت. يوتيوب. تاريخ النشر: 05 سبتمبر 2019. https://www.youtube.com/watch?v=qpl6G9eIOP8
- موسوعة ستانفورد للفلسفة، آين راند (2018)، ترجمة: علي الحارس، في الإنترنت: آين-راند-موسوعة-ستانفورد-للفلسفة/https://hekmah.org/wp-content/uploads/2018/10

References (Arabic & English & German)

- Al Jazeera Channel. (2016). *British Muslim arrested for reading a book on art in Syria* You Tube, 04 August 2016, https://www.youtube.com/watch?v=c62kHHiHCCs.
- Al Jazeera Channel. (2016). *British Muslim arrested for reading a book on art in Syria YouTube*, 04 August 2016, on the Internet: https://www.youtube.com/watch?v=c62kHHiHCCs.
- Al-Arabiya Channel. (2005). *Abbas Demands Resuming State Negotiations, and Bush Gives $ 50 Million in Aid to the Palestinians*, broadcast date: May 26, 2005 (author's archive).
- Al-Makky, Hisham. (2012). *From Passive Mind to Creative Mind: A Reading of Abdul-Wahab Al-Masiri's Methodological Contributions to Social Research*. (Part 1, Part 2), Date:18 December 2012. On the Internet: http://nama-center.com/Articles/Details/166.
- Alyaum (Saudi newspaper) (2005). Publication date: 25 September 2005. On The Internet: Abdul-Wahab-Al-Masirihttps://www.alyaum.com/articles/313584/.
- Ayn Rand. first televised interview. (1959). YouTube, no publication date. https://www.youtube.com/watch?v=vxbC6g_VcBo.
- Baker, C. Edwin. (1994). *Advertising and a Democratic Press*. Princeton, N.J.: Princeton University Press. p. 29.
- Bertima, Wafa. (2009). *Critical vision of Al-Masiri in the problem of prejudice to Western civilization, modernity as an example*. Faculty of Humanities and Social Sciences. Department of Philosophy. University of Algeria. On the Internet: http://193.194.83.98/xtf/data/pdf/1044/BERRTIMA_WAFA.pdf.

- Bertima, Wafa. (2009). *Critical vision of Al-Masiri in the problem of prejudice to Western civilization, modernity as an example*. Faculty of Humanities and Social Sciences. Department of Philosophy. University of Algeria. On the Internet: http://193.194.83.98/xtf/data/pdf/1044/BERRTIMA_WAFA.pdf.
- Häusermann, J. & Käppeli, H. (1986). *Rhetorik für Radio und Fernsehen. Schriften zur Medienpraxis*. Bd. 1. 2. Auflg. Aarau und Frankfurt/Main: Sauerländer.
- Kaplan, Richard L. (2002). *Politics and the American Press: The Rise of Objectivity, 1865-1920*. Cambridge University Press.
- Lebanese people denounce the President's statement regarding the Ottoman Empire (2019). YouTube Date of broadcast: 06 September 2019. https://www.youtube.com/watch?v=LbrfRLIQepg.
- President Aoun’s speech at the start of the centenary of the Greater Lebanon Declaration. YouTube Posting Date: August 31, 2019. https://www.youtube.com/watch?v=LmYrEAB6mTM.
- Schudson, Michael (1978). *Discovering the News: A Social History of American Newspapers*. Basic Books.
- Stanford Encyclopedia of Philosophy, Ayn Rand, (2018). translation: Ali Al-Haris, on the Internet: Ayn-Rand-Encyclopedia-Stanford-Philosophyhttps://hekmah.org/wp-content/uploads/2018/10/
- Steinbach, Marian (2005). Visuelle Informationsvermittlung in TV-Nachrichten. From: http://kisd.de/~marian/diplom/nt_tvnachrichten/steinbach_tvnachrichten.pdf.
- The moment of the attack on the Turkish embassy in Beirut. YouTube Posting Date: 05 September 2019. https://www.youtube.com/watch?v=qpl6G9eIOP8
- The Secretary General of the Islamic Group in Lebanon: Aoun's speech is "factional"and destroys the Lebanese structure. YouTube Posting Date: 04 September 2019. https://www.youtube.com/watch?v=ThLY9yo7SbU.